

آراء المستشرقين حول مفهوم الوجي

عرض ونقد

إعداد

الدكتور / إدريس حامد محمد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

أما بعد: فإنّ من أخطر القضايا التي تناولها المستشرقون بالبحث والدراسة، قضية الوحي إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ونبوته، فلم تكن لدى معظمهم القناعة ولا الإيمان بهذه النبوة، ونزول الوحي عليه؛ ذلك لأنّ في إثبات الوحي إثباتاً لها، وفي نفيه نفيّاً لها، لذا فإنّ من مسؤولية الباحث المسلم أن يجمع الأقوال المتناثرة عن (مفهوم الوحي) في مؤلفات المستشرقين الكثيرة: المؤيدة منها والمعارضة؛ ليقف كلّ مثقف على انطباعات المستشرقين وآرائهم حول هذا الموضوع؛ لأنّه يتربّ عليه ما بعده من إثبات النبوة ومصدريّة القرآن، مع تأكيد أنّ الفكر الإسلامي لا يمكن أن يكون يوماً ما في موقف الاستجداء بحثاً عن أقوال المستشرقين، ولا طلباً لمدائّهم، كما أنه لا يمكن أن يكون في موقف الضعف والمزية تجاه شبهاتهم ومطاعنهم.

وسوف تعرّض الدراسة مواقفهم الإيجابية، والمعتدلة، والسلبية بمنهج المتتبع للآراء، والمستنتاج للحقائق، عازية كل قول إلى قائله، وناسبة كل نقل إلى مصدره. ومن أجل بيان ذلك فقد اشتملت الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول وختامة.

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وحدود الدراسة.

الفصل الأول: الوحي، مفهومه، أنواعه، تاريخه، الوحي في نظر المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني: الاستشراق، مفهومه، انتماءات أهله، موازينهم، الوحي في نظرهم.

الفصل الثالث: آراء المستشرقين حول (مفهوم الوحي). وتناولتها بعرض محمل الرأي ومناقشته، رد المستشرقين على الرأي، رد العلماء المسلمين عليه.

تساؤلات الدراسة:

س1: ما دوافع المستشرقين لما تبنوه من آراء حول (مفهوم الوحي)؟

س2: ما الأدلة التي اعتمدوا عليها في آرائهم تلك؟ وما قيمتها العلمية؟

س3: ثم إلى أي مدى ندق بالمعلومات الواردة عنهم في موضوع الوحي؟

أسباب اختيار الموضوع:

اختير من بين الموضوعات الكثيرة التي طرحها جمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف على مائدة البحث والدراسة؛ لأهميته وخطورته وتشعباته؛ لأن إثبات الوحي ثبت به أمور كثيرة: مصدرية القرآن وأنه من عند الله تعالى، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإثبات الرسالة له، حيث أوحى الله إليه الشرع وأمره بتبليغه، وبانتفائه تنتفي الشريعة بكمالها.

لذا كان موضوع الوحي من أوسع وأدق الموضوعات التي تناولها المفكرون المسلمين والمستشرقون بالبحث والدراسة والتحليل على السواء.

ونظراً لعدم وجود القناعة العلمية لدى بعضهم، ولا الإيمان الراسخ بالنبوة ونزل الوحي، تعددت آراؤهم حوله، مما استدعى عرضها ومناقشتها.

أهمية الدراسة:

لا يمكن إغفال دور المستشرقين في حياتنا العلمية وإنكاره، فقد درس عليهم كثير من الأساتذة والكتاب والعلماء، حيث أرسلت كثير من الجامعات العربية والإسلامية بعثاتها إلى جامعات الغرب، التي كان يشغل فيها المستشرقون كراسي الدراسات العربية والإسلامية والشرقية، كما دعي بعض المستشرقين إلى الجامعات العربية، وترجمت بعض كتبهم إلى العربية، وأصبح بعضهم أعضاء في الجامع العربي والعلماني، فقاموا بتدريستنا وتدرис قضائيانا المختلفة، وقاموا بتقديمها للعالم الآخر بالطريقة التي يريدونها، وبالتالي فقد كان منهم إسهام في مسيرة الفكر الإنساني في مختلف الزوايا التاريخية والعلقانية والاجتماعية وغيرها، وكان مما تناولوه موضوع (مفهوم الوحي) الذي كان من أخطر القضايا التي تناولها المستشرقون بالبحث والدراسة، ولأنهم نشأوا على أديان أخرى، ونفذوا بشيء من العداء للنبوة، وسعوا لتجريد النبي صلى الله عليه وسلم من صفاتها، وبخاصة من جمع منهم بين اليهودية والنصرانية.

فتأتي هذه الدراسة باستطلاع آرائهم حول الوحي، لبيان مناهجهم التي سلكوها، وأصولهم التي اعتمدوا عليها، مع مناقشتهم فيما ذهبوا إليه من رأي، للخروج منه بما يسنه البرهان الساطع.

الدراسات السابقة:

إن الدراسات التي تحدثت عن الاستشراق كثيرة جداً، وأكثر منها الدراسات التي تحدث عن الوحي وبيان مفهومه، أما الدراسات التي تناولت الوحي من المنظور الاستشرافي فأقل النوعين، ومنها:

1 - الوحي الحمدي: للسيد محمد رشيد رضا.

الكتاب يقع في (368) صفحة من القطع المتوسط، نصيب موضوع الوحي ورُدّ شبهات المستشرقين يقع في حدود (80) صفحة، تناولها في ثلاثة فصول، تحدث عن آراء بعض المستشرقين مثل الأخذ عن بحيرا، وورقة، واليهود، والنصارى، وإنكار أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو لم يتناول جل آراء المستشرقين كما لم يورد معظم من أثار الشبهات منهم على موضوع الوحي، لكن الردود التي ذكرها على شبهاتهم كانت قوية وجريئة ومركزة، حيث تميز بترتيبها وتنسيقها على شكل نقاط، فأبطلت النتائج التي توصلوا إليها بإبطال المقدمات التي بنوا عليها آراءهم؛ لأنها تقوم على الخيال والدعوى الباطلة، التي لا يسندها دليل ولا يثبتها تاريخ ولا واقع.

2 - الوحي القرآني في المنظور الاستشرافي ونقده: محمود ماضي.

جعل كتابه في مقدمة وخمسة فصول، عرض في الفصل الأول مفهوم الاستشراق وأهدافه ومناهجه، أما الفصل الثاني والثالث والرابع فبَيْنَ فيها (مفهوم الوحي) وحقائقه ومظاهره، ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وتناول في الفصل الخامس شبهات المستشرقين حول الوحي وقام بتفنيدها، وتركزت هذه الشبهات على الأخذ عن الآخرين، كورقة، أو الأخذ عن اليهود والنصارى، وإثبات هذا الأخذ تحدث عن إنكارهم لأميته ومحاولة إثبات التعلم له.

3 - وحي الله، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، نقض مزاعم المستشرقين: لحسن ضياء الدين عتر، جعل المصنف موضوع بحثه من مقدمة وبابين: تحدث في الباب الأول عن نشأة الاستشراق ودوافعه وأنشطته وأهدافه.

أما الباب الثاني فقسمه إلى ثلاثة فصول، جعل الأول منها في بيان أهمية الوحي ومفهومه، والثاني خصصه لخصائص الوحي، أما الثالث فجعل عنوانه: مزاعم المستشرقين في الوحي، وتركز الموضوع حول شبهة الأخذ عن ورقة والرد عليها مشيراً إلى الشبهات والاعتراضات التي أوردها المستشرق مونتغمري واط، فكان الاقتصار على مستشرق واحد، ورأي واحد، درسه بتوسيع، ورد على شبهاه في ذلك الرأي.

أما هذه الدراسة فقد توسيع في عرض معظم الآراء لحل المستشرقين مع الرد عليها.

حدود الدراسة:

ستتناول هذه الدراسة آراء المستشرقين حول (مفهوم الوحي) سواء أكانتوا متخصصين من ذاتيين، وحاذدين منكرين للوحي، أم كانوا معتدلين لبقين في تناوله بأسلوب التعميم والتلليس، أم كانوا متعاطفين موضوعيين ساعين لإثبات الحقائق العلمية بجىادية، أم كانوا مؤمنين به مدافعين عنه، مع بيان أثر ذلك في الرسالة والرسول صلى الله عليه وسلم .

الفصل الأول

مفهوم الوحي، أنواعه، تاريخه، موقف المعاصرین للرسول صلى الله عليه وسلم منه

مفهوم الوحي:

ورد لفظ الوحي ومشتقاته في القرآن (78) مرة⁽¹⁾، وباستعراض مادته بكافة اشتقاقاتها _ وعلى ضوء معاجم اللغة _ يمكن القول بأنه يطلق في اللغة على: الإشارة والإيماء، كما يطلق على الإلهام الذي يقع في النفس، وهو أخفى من الإيماء.

قال ابن منظور: هو إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً⁽²⁾.

وقال الغيروزبادي⁽³⁾: الوحي: الإشارة، والكتابة، والمكتوب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما أقيمه إلى غيرك، وأوحى إليه: بعثه وأهممه. ويتناول الوحي بهذا المعنى اللغوي: -

1 - الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْنَاهُ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص: ٧].

(1) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة وح ي ص 746، بيروت دار الفكر، ط 2، 1401 هـ.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة وح ي.

(3) الغيروزبادي، القاموس الخيط، باب الياء فصل الواو 4/410.

2 الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحى إلى النحل: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَيْهِ أَنْ تَنْهَى النَّحْلَ

﴾ [النحل: ٦٨].

3 الإشارة السريعة على سبيل الرمز كإيحاء زكريا عليه السلام: ﴿ فَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَيِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيشًا

﴾ [مزم: ١١].

4 وسوسنة الشيطان وتزيينه الشر في نفوس الناس: ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ

لَيُوَحِّنَ إِلَى أَوْلَيَاءِهِ لِيُجَدِّلُوكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢١].

5 ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر^(١): ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ

أَفَيْ مَعَكُمْ فَتَيْتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأناضول: ١٢].

6 - كما يطلق على الإعلام بالشيء في الخفاء، وهو أن تعلم إنساناً بأمر

تخفيه على غيره، كما حكى الله تعالى: ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

رُّخْرَقَ الْقَوْلِ غَرْوَرًا﴾ [الأనعام: ١١٢].

7 - ووحي الله إلى أنبيائه هو ما يلقيه إليهم من العلم الضروري الذي يخفيه

عن غيرهم.

إن إطلاقات اللغة على (مفهوم الوحي) أكدت أن السرعة والخفاء من

سمات الوحي ومزاياه^(٢).

(١) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 33.

(٢) حسن عتر، وحي الله حقائقه وخصائصه، ص 50.

الوحي في الشرع:

الوحي إنما سمي وحياً؛ لأنَّ المَلَكَ أسرَّهُ عنَّ الْخَلْقِ، وَحَصَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ⁽¹⁾، وَقَدْ تَعَدَّتْ تَعْرِيفَاتُهُمْ لَهُ، إِلَّا أَنْ أَجْمَعُهَا كَانَ تَعْرِيفُ الزَّرْقَانِيِّ الَّذِي عَرَفَهُ بِقَوْلِهِ: ((أَنْ يُعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ اصْطِفَاهُ مِنْ عَبَادِهِ كُلَّاً مَا أَرَادَ اطْلَاعَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَلْوَانِ الْهَدَايَا وَالْعِلْمِ، وَلَكِنْ بِطَرِيقَةٍ سَرِّيَّةٍ خَفِيَّةٍ غَيْرَ مَعْتَادَةٍ لِلْبَشَرِ))⁽²⁾.

مفهوم الوحي عند اليهود والنصارى:

جاء تفسيرَ كَلْمَةِ (وَحْيٌ) فِي قَامُوسِ الْكِتَابِ الْمَقْدِسِ مَا خَلاَصَتْهُ تَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الْلَّفْظَةُ لِلدلَّالَةِ عَلَى نَبُوَّةِ خَاصَّةٍ بِمَدِينَةٍ أَوْ شَعْبٍ، فَالْوَحْيُ هُوَ الرَّئِيسُ، أَيْ أَنَّهُ آيَةٌ لِلشَّعْبِ. فِيَرَادُ بِالْوَحْيِ الإِلهَامُ، فَيَكُونُ بِهَذَا الْمَعْنَى: هُوَ حَلُولٌ رُوحُ اللَّهِ فِي رُوحِ الْكِتَابِ الْمَلَهِمِينَ؛ وَذَلِكَ لِإِفَادَتِهِمْ بِحَقَائِقِ رُوحِيَّةٍ أَوْ حَوَادِثٍ مُسْتَقْبِلَةٍ لَا يَتوَصَّلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِهِ⁽³⁾.

ويُؤَتِيُّ الْوَحْيُ عِنْدَ الْيَهُودِ: بِمَعْنَىِ الإِلهَامِ أَوِ ابْتِشَاقِ الْفَكْرَةِ فِي ذَهَنِ النَّبِيِّ⁽⁴⁾.
 وَلَمَّا كَانَتْ صَفَةُ الْوَحْيِ لِلنَّبِيِّ الْخَاتَمِ تَوَافَقَ صَفَةُ الْوَحْيِ إِلَى مَنْ تَقْدِمُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَخْبَرَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الشورى: ٣].

(1) المرجع السابق ص50.

(2) الزرقاني، مناهل العرفان 1/63.

(3) محمد رشيد رضا، الوحي الحمدي ص95.

(4) عبد الحليل شلبي، أنواع الوحي وأراء المستشرقين ص188. ضمن بحوث مؤتمر السيرة والسنّة.

أنواع الوحي:

إن ضروب تكليم الله للبشر حددته آية من كتاب الله، هي قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّيْ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِيْ حَجَابٍ أَوْ يُرِسِّلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِيْهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١] ، فقد كان

الوحي إلى الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنواع لا تخرج عنها، وهي:

١ - الإلقاء في القلب - يقظة أو مناماً - ويشمل النفث في الروع، والإلهام، والرؤيا المنامية، وهذا الإلقاء في القلب يستيقن من ألقى إليه أنه من

الله، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحِيًّا﴾ [الشورى: ٥١] ، أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم...)).^(١)

وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن روح القدس نَفَّثَ في رُوعِيْ أنْفَسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب)).^(٢).

٢ - تكليم الرب لعبدة من وراء حجاب، كما كلام الله موسى عليه

السلام، قال تعالى: ﴿وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكَلِّيْمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

٣ - ما يكون بإرسال ملك من الملائكة فيبلغ ما أمر الله بتبيغه إلى من

شاء من عباده، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرِسِّلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١].

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ص 1 بالرقم 3.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك 4/2، والبغوي في شرح السنة 304/14، واللفظ له، وهو حديث صحيح كما في صحيح الجامع الصغير للألباني بالرقم 2085.

وهذه الحالة الثالثة كان يأتي بها الملك على أساليب شتى:

فتارة يظهر للرسول على صورته الحقيقة الملكية، وتارة يظهر على صورة إنسان يراه الحاضرون ويستمعون إليه، كما في حديث عمر الذي أخرجه مسلم: ((يَنِمَا نَحْنُ جَلْوَسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ بِيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدٌ سَوَادُ الشِّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثْرُ السَّفَرِ وَلَا يُعْرَفُ مَنَا أَحَدٌ...)).⁽¹⁾

وتارة يهبط على الرسول خفية فلا يرى، ولكن يظهر أثر التغيير والانفعال على صاحب الرسالة، فيت慈悲 من جبينه العرق في اليوم الشديد البرد، وقد يكون وقوع الوحي على الرسول كموقع الجرس إذا صلصل في أذن سامعه، وذلك أشد أنواعه، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشدُهُ عَلَيْ - فَيَفْصِمُ عَنِي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ)).⁽²⁾ وربما سمع الحاضرون صوتاً عند وجه الرسول كأنه دوي النحل، لكنهم لا يفهون كلاماً، أمّا - هو صلوات الله وسلامه عليه - فإنه يسمع ويعي ما يوحى إليه، دون لبس ولا خفاء، ومن غير شك ولا ارتياط، فيجد ما أوحي به إليه حاضراً في ذاكرته، كأنما كتب في قلبه.⁽³⁾

يتضح من هذه الأنواع أن الوحي حدث مفاجئ طرأ على النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يتوقعه أو يتطلع إليه، كما زعمه بعض المستشرقين، حيث

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وصف الإيمان والإسلام 36/1.

(2) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص .1

(3) محمد عبد العظيم الزرقاني، منهاج العرفان 1/64.

فاجأه الملك في غار حراء، وأخذ يعتصره بقوة حتى أجهده، فارتاحف فؤاده ونحاف على نفسه، فانطلق إلى زوجه مرتاباً، فلما سكتته سكن، ثم أخبرها الخبر وهو وجّل. وأثناء نزول الوحي عليه كانت تعترضه أعراض إلزامية كاحمرار الوجه، وتتابع الأنفاس، وثقل في الجسم، وتفصل العرق في اليوم الشديد البرد. ومع كل ذلك ما كان يستطيع أن يدفع ذلك عن نفسه، مما يؤكد أن الوحي أمر خارجي؛ خلافاً لما تثبت به كثير من المستشرقين بأنه أمر داخلي، حتى يتوصلا إلى التشكيك في ظاهرة الوحي والنبوة التي هي أخص مزايا الرسول صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

تاریخ الوھی:

كان أول الوحي إلى البشر هو ما كان من كلام الله إلى آدم وتعليمه من الوصايا ما يميز به ما يفعه مما يضره، ومن الوحي إلى حلقة ما كان عن طريق الرؤيا التي يراها النائم، فإذا استيقظ من نومه شعر أن رؤياه قد ملكت عليه كل نفسه، واطمأن بها قلبه، وعلم أن ذلك وحي من الله، كما حصل مع إبراهيم، وكانت الرؤيا هي سبيل الوحي لأغلب الأنبياء، مع أن أكثر وسائله أن تأتي الملائكة في صور مختلفة تخاطب الأنبياء بلغاتهم وبلغهم وحي الله⁽²⁾.

فقد أكدت كتب العهد القديم أن (رجال الله) الذين عاشوا قبل بني إسرائيل، وكذلك الذين ظهروا في الشعب الإسرائيلي من أنبياء ورسلين قد تلقوا وحي الله بطرق مختلفة تمثل في الوحي بالكلام شبه المباشر بين الله والإنسان، أي

(1) انظر: نذير حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين ص 86، وحسن عتر، وحي الله، ص 65-66.

(2) الوحي و الملائكة، حمد عبد الوهاب ص 44-45.

من وراء حجاب، في صور بشرية تارة، أو في صورتها الطبيعية النوارنية تارة أخرى، وقد تسمع أصوات الملائكة من بعد في خفاء وهي تلقي الوحي إلى الموحى إليه، كل ذلك كان من رحمة الله بخلقه أن اصطفى لهم أنبياءه ورسله.

كما تقرر أسفار العهد الجديد أن طرق الوحي إلى الأنبياء متعددة كلها تهدف إلى تعليم الناس دين الله عن طريق رسle الدين كانوا أئمّة البشر، وبذلك تعترف المسيحية بجميع طرق الوحي المشار إليها في أسفار العهد القديم⁽¹⁾، مما يؤكد أن تاريخ الوحي ومظاهره وحالاته ووسائله عند أهل الكتاب في أسفار العهدين لا تختلف عن بعضها فهي تؤكد وتؤمن به وتقره.

إن تأكيد هذا الكلام عند الكلام عن تاريخ الوحي يأتي لمناقش من خلاله جمهرة المستشرقين الذين يدينون بهذه الديانات؛ لأن معظمهم من أهل الكتاب: إما يهود يجدهم أنفسهم لرد كل ما هو إسلامي إلى أصل يهودي. أو نصارى يمثلون رجال الدين الذين تخرجوا في كليات اللاهوت، وكلهم لا ينكرون الوحي؛ لأنهم يعتزفون بأنباء التوراة والإنجيل.

لكن كل تفسير سلوكه لظاهرة الوحي عند محمد صلى الله عليه وسلم كان مغايراً لما يعتقدونه، فالتعنت والتعصب أدى بهم إلى التفريق بين المتساوين، ولذلك تضاربت تفسيراتهم له وذهبوا مذاهب شتى، كما سيأتي بيانه عند عرض آرائهم. نخلص من هذا العرض إلى أن الله أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى نوح أول رسle إلى أهل الأرض، وإلى النبيين من بعده، فوحيه إليه كوحيه إليهم، أي: مثله في جنسه وموضوعه والغرض منه؛ لأنه خاتمهم المكمل لهدايتهم.

(1) المرجع السابق ص 61 بتصرف.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]

. [١٦٣]

والله تعالى أرسل رسلاً كثيرين من بعد نوح وقبل محمد صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿وَرَسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلِ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]

، وأخبر أن وظيفة الرسل تعليم الناس ما به صلاح حالم وما لهم، بطريق التبشير لمن آمن وأصلاح عملاً بحسن الثواب، وإنذار من كفر وأفسد عملاً بالعقاب، حتى تقام عليه حجة الله^(١).

الوحي في نظر المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم:

أثار المشركون المعاصرون لنزول الوحي شبهاتٍ شتى حول الوحي والرسول، زاعمين افتراء الرسول الكذب على ربه، حيث وضع القرآن بعلمه وثقافته المكتسبة ثم نسبه إلى الله، وتارة نسبوا القرآن إلى الإبداع الذاتي أو التعلم الخارجي.

وهنا تتضارب آراؤهم:

فمنهم من يزعم أنه من تأليفه وإنشائه، ولكنهم يستنكرون عليه أن يكون

من إنتاجه وحده فقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أَفْرَدَهُ وَأَعْانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ

ءَخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤].

ومنهم من نفى أن يكون قد جاء بشيء منه من عنده، بل قالوا: ﴿إِنَّمَا

يُعَلَّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

(١) محمد رشيد رضا، الوحي الحمدي ص 73-74 باختصار.

ومنهم من هُوَنَ الْأَمْرُ فَقَالَ: ﴿أَسْطِرُ الْأَوَّلِينَ أَكَتَبَهَا﴾

[الفرقان: ٥].

ومنهم من كَانَ قَوْلَهُ سَخْرِيَّةً لِلْعُقَلَاءِ، إِذْ قَالَ: ﴿مَعَلَّمٌ بَجِنُونٌ﴾

[الدخان: ١٤].

كَمَا وَصَفُوهُ بِالْكَهَانَةِ، وَالْجَنُونِ، وَالشَّاعِرِيَّةِ، وَالسُّحْرِ. وَكُلُّ ذَلِكَ لِإِنْكَارِ
نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ.

أَمَا اتَّهَامُهُمْ إِيَّاهُ بِالْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ فَتَنْتَفِيهِ تَقْرِيرُهُمْ عَنْهُ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، حِيثُ
وَصَفُوهُ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ. وَلَا قَالُوا لَهُمْ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنْ خِيلًا بِالْوَادِي تَرِيدُ
أَنْ تَغْيِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكْتَمْ مَصْدِيقَيْ؟ قَالُوا: مَا جَرِبْنَا عَلَيْكُمْ كَذِبًا»^(١).

وَفِي اسْتِجَوابِ هَرْقَلَ لِأَبِي سَفِيَّانَ بِالسُّؤَالِ عَنْ حَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: هَلْ كَتَمْتُمْ تَنَاهُونَهُ بِالْكَذْبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَقَالَ: لَا.

وَفِي نَهايَةِ الْحَوَارِ قَالَ لَهُ: «مَا كَانَ لِي دُعَ الْكَذْبِ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبُ عَلَى
اللَّهِ»^(٢).

وَنَفَى الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغْرِبَةِ بِشَدَّةِ احْتِمَالِ كَذْبِهِ وَافْتَرَاهُ عَلَى اللَّهِ بِقَوْلِهِ: «وَتَزَعمُونَ
أَنَّهُ كَذَابٌ، فَهَلْ جَرِتُمْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْكَذْبِ؟ فَقَالُوا: لَا»^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ بَابِ ﴿وَأَنِذْرْ عَشِيرَاتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشَّعَاءُ: ٢١٤] ص ١٠١٣ بِرَقْمٍ .٤٧٧٠

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي كِتَابِ بَدْءِ الْوَحْيِ، بَابِ كِيفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٣-٤ بِرَقْمٍ .٧

(٣) الْخَضْرَى، نُورُ الْيَقِينِ ص ٤٣، وَمُحَمَّدُ رَشْدَى عَبِيدُ، النَّبِيَّةُ فِي ضُوءِ الْعِلْمِ وَالْعُقْلِ ص ٢٨٧.

أما ما زعموا أنه (إفك افتراه) فلماذا لم يعارضه البلغاء والشعراء والحكماء وقد تحداهم وأمهلهم ثلاثةً وعشرين سنة؟ فعجزهم يدل على كذبهم، وتناقض أقوالهم، فقولهم السابق يجعل القرآن من إنشاء محمد صلى الله عليه وسلم بالاشتراك مع آخرين وقولهم: ﴿إِنَّمَا يُعْلِمُهُ بَشَرٌ﴾ ينفي القول الأول. وقولهم: ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يثبت أميته وعدم معرفته للقراءة والكتابة.

أما الآراء الأخرى فلا تستحق المناقشة كما فعل معها القرآن، حيث أوردتها ولم يرد عليها لتفاهاها⁽¹⁾، ذلك لأن من شأنها هو العجز عن كبت دعوة الحق بالإنكار والسخرية، لجأوا إليها كنوع من الحرب النفسية المنظمة:

قالوا عنه: كاهن، وهو الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية؛ مستمدًا لها من الجن. فهل يتحمل أن يكون محمد عليه الصلاة والسلام كاهنًا لأنه أخبر ببعض الغيب؟ ولم نسمع أن كاهناً وضع كتاباً — لا قبله، ولا بعده — فضلاً عن أن يضع القرآن الكريم.

قالوا عنه: مجنون، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ حِنَّةٌ﴾، والجنون: احتلال في العقل يحرم صاحبه من سداد التصرف.

فإن كانوا صادقين فلماذا حكموه في أصعب مشكلة اجتماعية: وضع الحجر الأسود في مكانه عند بناء البيت، وهم يعلمون أن الجنون لا يتبعه عاقل يحترم نفسه؟ وهذا تناقض أثبتوه بقولهم إنه: ﴿مَعْلَمٌ مَجْنُونٌ﴾⁽²⁾.

وقالوا عنه: شاعر، فهناك فروق جوهيرية بين ما جاء به من القرآن وبين الشعر، ولو كان شاعرًا لقربه إلى الشعراء وجالسهم، والذي حصل عكسه كما قال الله عز وجل: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاقِدُونَ﴾ [الشعراء: ٢٤].

(1) المرجع السابق ص 304 وما بعدها باختصار وبتصرف.

(2) والله تعالى نفى عنه الكهانة والجنون ﴿...فَمَّا أَنَّ يَنْعَمَ رَبَّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩].

وقالوا عنه: ساحر، وهو خداع للأبصار بحركات لطيفة غريبة يأتي بها السحرة، وقد أجمع أئمة الكفر على هذا الوصف، واتفقوا عليه بعد أن نفوا عنه ما سبقه من أوصاف؛ لأنهم رأوا أنه يسعفهم أن يقولوا: يفرق بين المرء وأخيه، ثم إنه عليه الصلاة والسلام حمل على السحرة والكهنة والشعراء والشياطين، فلو كان متصلةً بهم ونقاًلاً عنهم لما صدر منه مهاجمتهم ولا تحذيرهم.

فتبيّن بهذا اضطرابهم في موقفهم من نزول الوحي على الرسول، فالذين رموه بالجنون والسحر والشعرة والكهانة، هم أنفسهم الذين نفوا عنه هذه الأكاذيب.

هذه هي جل آراء المشركين المعاصرين للرسول عليه الصلاة والسلام حول الوحي والرسول. وهذه الآراء تناولها المستشرقون وتوسعوا فيها مُدعين أنهم ألبسوها ثوب البحث العلمي، مع أنها تكرار لآراء المشركين نفسها، كما سيتبين ذلك من خلال عرضها ومناقشتها.

الفصل الثاني

مفهوم الاستشراق، انتماءات أهله، موازينهم، الوحي في نظرهم

المعنى اللغوي:

أصبح الاستشراق علماً قائماً بذاته، له كيانه ومراكزه وفلسفته ودراساته، فكان لزاماً معرفة مفهومه.

لم ترد كلمة (استشراق) في قواميس اللغة القديمة، ولكنها مترجمة عن الكلمة (Orient) وتعني الشرق باللاتينية⁽¹⁾، فكلمة الاستشراق مشتقة من مادة (شرق)، التي تعني شرق الشمس إذا طلعت⁽²⁾. ومعنى (استشراق): أدخل نفسه في أهل الشرق، وصار منهم.

المعنى الاصطلاحي:

عُرِّف الاستشراق عدة تعريفات منها:

— دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق بما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وعلومه⁽³⁾.

— هو طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم⁽⁴⁾.

(1) الحيلي محمد الكباشي، المستشرق نيكولسون ومقتنياته على الإسلام ص 17 رسالة علمية غير منشورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(2) ابن منظور، لسان العرب مادة شرق، 39/12، بولاق ط 1 سنة 1302 هـ.

(3) محمد حسين الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية ص 11، بيروت، المؤسسة الجامعية ط 1 سنة 1403 هـ.

(4) الحيلي، المستشرق نيكولسون ص 17.

— وأقرب تعريف وأشمله هو: دراسات غير الشرقيين لحضارات الشرق وأدابه ولغاته وتاريخه وعلومه واتجاهاته النفسية وأحواله الاجتماعية⁽¹⁾. وبالتالي يصبح المستشرق: هو العالم المتمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته.

والمستشرقون: هم الباحثون الذين نذروا أنفسهم لدراسات الشرق القديم والمعاصر.

يتضح من هذه التعريفات أن الاستشراق معناه: الالستغال بالدراسات الشرقية عامة، والدراسات الإسلامية والعربية خاصة.

لكن الذي ينبغي لفت الانتباه له مما يغفل عنه كثير من الباحثين أن الاستشراك هو: اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغض النظر عن وجهتهم الجغرافية واتماماتهم الدينية والثقافية والفكرية، فهم يتكلمون ويكتبون عن دين لا يدينون به، فليس غريباً أن يدفعهم اختلاف الدين إلى التعصب الشديد والحملة عليه، وتحيّن الفرصة لبث الشبه والدعوى بلا ثبت ولا تحقق⁽²⁾، إلا المنصف منهم، وهو قليل جداً.

انتماءات المستشرقين:

تفاوتت آراء المستشرقين حول (مفهوم الوحي) وتفسيراتهم له، كما تفاوتوا في تقويم الرسول والرسالة، حتى تبأنت وجهات نظرهم تبأناً أوصلها حد التناقض، وسبب ذلك تأرجح منهاجهم بين الجحود والإنصاف، فمن انساق

(1) حسن عتر، وحي الله ص 17-18.

(2) محمد علوي الحسيني، المستشرقون بين الإنصاف والعصبية، وكتاب الإسلام والمستشرقون ص 162، عالم المعرفة، جدة، ط 1 سنة 1405هـ.

وراء التعصب انزلق في مهاوي الحقد، ومن تفهم روح الإسلام وانجلت له حقائقه، اتصف بالنّزاهة، وخالف نور اليقين شعاف قلبه، فأعلن إسلامه⁽¹⁾.

وبين الفريقين توزعت مواقف واتجاهات شتى، إلا أنّ الغالبية العظمى من المستشرقين أنكروا الوحي وأنكروا النبوة، وأثاروا الشبهات حول الحقائق الإسلامية، وهذا يدفعنا إلى الحديث عن انتماهم، فقد انقسموا في مواقفهم من الوحي والرسالة إلى: منصفين ومتغصبين:

فالمنصفون منهم انقسموا إلى: مسلمين، ومتعاطفين مع الإسلام، والمتغصبون انقسموا إلى: حاقدين أعداء، ومعتدلين في تحذيب الألفاظ وإبطان المكر والحد.

إنّ الحاقدين على الإسلام من المستشرقين أنواع: منهم من كان حقده ناشئاً عن طريق عواطف الاحتقار والرفض الذي يحيط به الجهل، مثل: ريموند شارل، وكارل بروكلمان، ومنهم من كان حقده زعافاً⁽²⁾ أمثال: لامانس⁽³⁾، وأندري ميكال⁽⁴⁾.

أما المعتدلون: فيقصد بهم الذين عدلوا عن أسلوب الهجوم الواضح والعداء الصريح إلى أسلوب التقدير والاحترام للرسول صلى الله عليه وسلم، ووصفه بالعبقرية والعظمة والبطولة مع تحريره من النبوة، والإنكار للوحي تارة،

(1) الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشرافية، ص 241.

(2) لخضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشرافي المعاصر، ص 259.

(3) هنري لامانس مستشرق بلجيكي الأصل فرنسي الجنسية من الآباء اليسوعيين من مؤلفاته: مهد الإسلام.
انظر العقيقي: المستشرقون 3/293.

(4) مستشرق فرنسي تلميذ بلاشير عمل بالخارجية ثم أستاذًا بجامعة باريس (المستشرقون 1/379).

وتفسيره وتأويله تارة أخرى بإسقاط المقاييس المسيحية عليه، وهذا الصنف هو الذي يدعى في أبحاثه الموضوعية والبحث العلمي الجرد من التعصب⁽¹⁾.

ولعل معظم المستشرقين المعاصرین من هذا الصنف الذي يستعمل أمکر الأساليب ألطاف العبارات، ليخفى وراءها حقده، كأن يستخدم صيغ الشك عند التعبير عن الحقائق التاريخية والدينية، كقول بروكلمان: ((أعلن محمد ما ظن أنه سمعه كوفي من عند الله))⁽²⁾.

أما المتعاطفون من المستشرقين: فقد بزت عواطف الود الصادق منهم تجاه الإسلام باعتباره ديناً، المسلمين باعتبارهم أمة، فقاموا بخدمة العلم والتاريخ الحق دون تعصب معتبرين بالإسلام، مقررين بالوحى، مثبتين للنبوة.

فمنهم من شرح الله صدره للإسلام أمثال ليوبولد فاس⁽³⁾، ومارجريت ماركوس⁽⁴⁾.

ومنهم من لم يعلن إسلامه رغم إدائه بتصريحات هامة تدل على أنه مسلم في ضميره مثل برناردشوا.

ومنهم من بقي على ما كان عليه من العقيدة لأسباب لم يعلنا عنها⁽¹⁾، مثل هنري دي كاستري، ورينو حينوا، وتبتوس بركات، ودنيس ماسون، والذين بدوا على وشك الشهادة⁽²⁾.

(1) أمثال هيلتون جب، وديتس سور، وتولستوي، وبندي جوزي، (الأدلة على صدق النبوة ص 455-456).

(2) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ص 30.

(3) مستشرق نمساوي دخل في الإسلام فتسمى (محمد أسد).

(4) باحثة أمريكية أسلمت فسمت (مريم جميلة) وغيرهم كثير من أسلم أمثال: يحيى عينون، ودينيه، ومراد هوفمان.

ولا شك أن هؤلاء قد أسهموا في تخلية صورة الإسلام للغربيين وقاموا بالدفاع عنه، رادين على طعون ومزاعم الذين أساووا الفهم، أو تعمدوا التلبيس من أتراهم، فهذا (توملين) يؤكد عجز المستشرقين عن فهم الثقافة الشرقية؛ وذلك لأنهم لم يتمثلوها ولم يعيشوها، فتعذر عليهم التعبير عنها بموضوعية وبجرد، ولو فعلوا ذلك لاستلزم الأمر أن يعتزلوا أوروبا كلها، ولبدؤوا الحياة من جديد كشقيقين⁽³⁾.

إن الإفراط في الثقة بالمستشرقين أدى إلى نوع من الاضطراب لدى الكتاب المسلمين في نظرتهم تجاههم، فأحدث نوعاً من التباين في تقويمهم بين متعاطفين ومنصفين وحاذدين، فمن يراه بعض الكتاب منصفاً يراه آخرون حاذداً، ومن يراه البعض موضوعياً حيادياً، يراه آخر متزمراً، فاختللت وجهات النظر فيهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل في المستشرقين من يوصف بموضوعية والحيادية والإنصاف؟

اختللت إجابات الباحثين بين النفي والإثبات حسب مواقفهم تجاههم، وحسب آراء المستشرقين حول الإسلام، وأصحاب كل موقف لهم مسوّغاتهم وبراهينهم.

(1) د. عبد الله مبشر طرازي، الإسلام والمستشرقون، ص 299-300.

(2) خضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشرافي المعاصر ص 192 نقلًا عن الإسلام عام 2000 م.

(3) علي التملاة، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين ص 12 بتصرف، الرياض، مكتبة الملك فهد، 1414هـ.

لكن الذي ينبغي تأكيده هو الحذر والحيطة والتحفظ من الأقوال التي عرفت واشتهرت بالإنصاف والاعتدال؛ لأنه ليس ثمة ثبات ولا منهجة واحدة لكل مستشرق، فتجده يثبت الوحي هنا، وينكر نبوة الرسول هناك، أو يخصه بالعرب خاصة، أو يعترض له بأنه عظيم من العظماء، كما فعل توماس كاريل، لكنه وصف القرآن بأنه كتاب ممل مضطرب مختلط مشوش جاف معقد، غباء لا يطاق⁽¹⁾.

لذا أرى ألاً يفرح مسلم باعتراف مستشرق بالوحي، ويعد ذلك كسباً للعلم والتاريخ؛ لأنه قد يكون أسلوباً من أساليب المكر والخداعة كما فعله (زوجي، ولامانس) اللذان وصفا الرسول صلى الله عليه وسلم بالقدرة الفائقة على الإقناع والتأثير في الآخرين، وبالعقبالية، لكنهما وصلا إلى تحريره من النبوة، ومن مزية كون القرآن وحياً من عند الله تعالى⁽²⁾.

وهكذا فإنّ معظم من وصفه بالعقبالية والتفوق والقيادة والإصلاح، سعي إلى إنكار نزول الوحي عليه.

والحقيقة أني لم أجد مستشرقاً يستحق التقدير في كل مواقفه -على الأقل فيما وقفت عليه- في موضوع (مفهوم الوحي)، فقد تجد لأحدهم موقفاً جيداً من مسألة كالوحي، لكن يأتي بما ينافق ذلك في غيره من مسائل الدين، مما يجعلني أقرر أن كتابات جل المصنفين منهم تحمل في طياتها النظريات الفاسدة، التي تمثل هجوماً في صورة مسلمة، وتعصباً في صورة إنصاف، كما هو عند كاريل، ولوهرا، وواط وغيرهم، وهذا الأمر يستدعي دراسة جادة تعتمد على

(1) أحمد غراب، زاوية الإسلام للاستشراق ص 139.

(2) انظر: نذير حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين ص 65.

التبغ والاستقراء؛ للخروج بحكم موضوعي صائب، تجاه كل مستشرق وآرائه ودراساته.

ويخرج من هذا التعميم معظم المسلمين منهم وبعض المتعاطفين، وهم قلة.

موازين البحث عند المستشرقين:

دأب كثير من المستشرقين في تحرير أبحاثهم عن الدراسات الإسلامية على ميزان غريب في ميدان البحث العلمي:

يضعون في أذهانهم فكرة معينة، ويسعون إلى تصيد الأدلة لإثباتها، بحيث لا يهمّهم صحة الدليل بمقدار ما يهمّهم إمكان الاستفادة منه لدعم آرائهم الشخصية، فيقومون بجمع المعلومات التي ليس لها علاقة بالموضوع من كتب الديانة والتاريخ والأدب والشعر والرواية والقصص، أو المحاجن والفكاهة، فيقدمونها بعد التمويه بكل جراءة، ويبينون عليها نظرية لا وجود لها إلا في نفوسهم وأذهانهم⁽¹⁾، فيستبطون الأمر الكلي من حادثة جزئية⁽²⁾، كما فعلوا ذلك في موضوع الوحي، يتصدّى كل منهم حادثة فيبني عليها، ويجدوها ما أمكنه لتمكينها في النفوس، مثل حادثة لقاء النبي صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل، أو بحيرا، أو الحداد الرومي، ويزعمون أنه أحد منهم أو تتلمذ عليهم.

كما يعتمدون على الوهم المجرد لتفسير الأمور، فقد فسروا ظاهرة الوحي بحدث النفس وإلهاماتها تارة، وبالنوبات الانفعالية أخرى، وبالتنويم الذاتي أو التجربة الذهنية المرضية كالصداع المستيري، وكثير منهم كان يدس مقداراً معيناً

(1) أبو الحسن الندوبي، الإسلاميات بين كتاب المستشرقين والباحثين المسلمين، ص 16.

(2) عبد الرحمن حسن الميداني، أجوبة المكر الثلاثة، ص 141، دمشق، دار القلم، ط 7.

من السم، ويخترس في ذلك، حتى لا يستوحش القارئ وتضعف ثقته بــزاهة المؤلف، فهذا المستشرق (مونتغمري واط) الذي ادعى أنه أكثرهم حيادية، وقف من الوحي الذي تلقاه محمد صلى الله عليه وسلم، موقف غريبة ومريرة لأبعد الغايات، فمن بدأ الأمر أعلن أنه لن يجزم بأن القرآن وحي من عند الله، ولا أنه من وضع محمد صلى الله عليه وسلم وقال: (لذلك فلن تجد في بحثي عن القرآن: قال الله، ولا قال محمد؟ بل سأقول: قال القرآن؟) يريد أن يخدع القارئ بأنه رجل محايده، لكنه غير بعيد من هذا الموضوع بدأ يشكك في أن القرآن وحي من عند الله، ورجح أن القرآن بشري المصدر وليس وحياً نزل من عند الله⁽¹⁾.

يتضح من هذا أن موازين البحث عند المستشرقين تتلخص في الآتي:

1 - تحكيم الموى ونزعات العداء للإسلام والمسلمين، مع التعصب لما ينتهيون إليه.

2 - وضع الفكرة مقدماً ثم البحث عن أدلة تؤيدها مهما كانت ضعيفة واهية.

3 - تفسير النصوص والواقع تفسيرات لا تتفق مع دلالاتها الحقيقة، ولا مع نتائجها المشتبة تاريخياً.

4 - تجميع المفوات التي لا تخلو منها أمة -مهما عظمت كمالاتها- وتقديمها على أنها تمثل الإسلام.

5 - تصيد الشبهات، والإكثار من الفرضيات، والاعتماد على الضعيف والشاذ من الأقوال.

(1) عبد العظيم المطعني، افتراءات المستشرقين ص 9-10، واط، محمد في مكة، ص 5.

6 - رفض الحق، ومنه إثبات الوحي، بالمعنى المجرد الذي لا يدعمه دليل

صحيح مقبول في المنهج العلمي السليم⁽¹⁾.

نستطيع أن نخلص من هذا كله إلى أنه ليس بمقدور أي مستشرق على الإطلاق مهما كان اتساع ثقافته واعتدال دوافعه، وحياديته ونزعه الموضوعي، إلا ارطم بالواقع ومارس التزيف متعمداً أو غير متعمد.

الوحي في نظر المستشرقين:

إن استطلاع آراء المستشرقين في الوحي الحمدي يحددنا النظر إلى بداية الصلة الثقافية بين الشرق والغرب، أو ما يعرف ببداية الاستشراق، وهي بداية دراسة الغربيين للغات الشرقيين وظروفهم العامة التي بدأت في إسبانيا، ثم انقطعت لسقوط غرناطة عام 1492م، ثم عادت بعد توحيد الكنيستين الغربية والشرقية في القرن السادس عشر.

إن دراسات المستشرقين وآراءهم من الوحي تأثرت بالفكرة التي رسختها الدراسات السابقة، من الطعن في الإسلام، واحتلال العيوب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ إرضاء للشعوب الأوروبية التي كان يرضيها أن تسمع الشتائم عنه، فوصفو النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر وخداع وشهواني، وأنه عدو للمسيحية، منقادين إلى ذلك بمحض خيالهم، دون الرجوع إلى مصادر مكتوبة، أو اطلاع على دراسات سابقة حتى أصبحت هذه الدراسات مرتكزاً لهم، فأصبحت تمثل صخرة عاتية ليس من السهل أن تكسر⁽²⁾.

(1) الميداني، أجنحة المكر الثالثة ص 147-148.

(2) عبد الجليل شلبي، الوحي الحمدي وآراء المستشرقين ضمن بحوث المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنّة برعاية الأزهر، ص 197 باختصار.

وحتى يتحقق لهم هذا الإنكار للوحي أصبحوا يرددون أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ما هو إلا إبداع ذاتي، أو إشراق روحي، أو إنماز أدبي، أو مشروع محمدي، أو توصل فكري، أو إملاء إنساني.

إن من يناقش المستشرقين في موضوع الوحي يحتاج إلى صبر طويل.

أما نظرتكم حول مَنْ نزل عليه الوحي فإنها تمثل في الآتي:

1 - بعضهم عده قائداً وزعيمًا فذاً.

2 - وبعضهم جعله في مصاف المصلحين الاجتماعيين.

3 - وبعضهم عدّه أحد عباقرة العالم الذين يندر أن يحظى العالم بمثلهم، وهؤلاء الأصناف الثلاثة يرتكز إنكارهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم على أساس ديني.

4 - وقلة من أبرز شخصيته رسولاً.

5 - وأقل منهم من وصفه أنه نبی أوحى إليه بالإسلام.

6 - ومنهم من أنكر النبوة؛ لأنهم ينحوون بتفكيرهم نحو المادية والعلمانية، فينکرون الوحي جملة وتفصيلاً، وسيأتي عرض آرائهم في (مفهوم الوحي) بجملة ومفصلاً.

أهدافهم من إنكار الوحي:

على الرغم من أن جمّة من المستشرقين لا ينكرون الوحي في الواقع الإنساني لأنهم يصدقون بأنبياء التوراة والإنجيل، فهم إما يهود أو نصارى، وكل تفسير سلکوه لمفهوم الوحي عند محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يفسّر به الوحي عند أنبيائهم الذين يعترفون هم بنبواهم، إلا أن تعتنّاً مبعثه التعصب

الدينى هو الذى جعلهم يفرقون بين أمرىٰن متساوين تماماً، فيعترفون بأحدهما ويبحدون الآخر؛ عصبية عمياء.

إن غالبيتهم ينكرون أن يكون محمد صلٰى الله عليه وسلم نبِيَاً أو حِلٰى الله إليه كتابه، بل تضاربت تفسيراتكم لهذه القضية الغريبة، وذهبـت التخمينات في تخليلها مذاهب شتى، أجمعـها: رفض حدوث الوحي، وبث الشبهات حوله، زاعـمين بأن الوحي والقرآن ما هو إلا مشروع محمدي، أو عمل من أعمال الشعوذة.

وكانوا يهدفون من إنكارـه إلى:

- 1 - الإيحـاء بأن الإسلام ليس من عند الله، بل هو من أفـكار محمد صـلٰى الله عليه وسلم التي تـشـبـعـتـ بالـأـفـكـارـ اليـهـودـيـةـ والنـصـرـانـيـةـ.
- 2 - محـوـ الشـخـصـيـةـ الإـسـلـامـيـةـ.
- 3 - مـحاـولةـ إـيـجادـ جـذـورـ لـلنـصـوصـ الـدـينـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ مـنـ النـصـوصـ النـصـرـانـيـةـ والـيـهـودـيـةـ.
- 4 - التـشـكـيكـ فـيـ النـصـوصـ وـصـحـتهاـ وـاسـتـعـمالـ الـخـلـافـاتـ الـفـكـرـيـةـ أـدـاءـ لـلـتـشـكـيكـ.

الفصل الثالث

آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي

هناك حصر ما يزيد على أكثر من ثلاثة رأياً من آرائهم حول الوحي، ويمكن تناول هذه الآراء بعد عرضها على النحو الآتي:

أ - بيان محمل الرأي. ب- عرض كل رأي ومناقشته.

ج- رد المستشرقين عليه. د- رد العلماء المسلمين على الرأي.

محمل آرائهم حول الوحي:

- 1 - اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بالكذب، وأنه افترى القرآن من عند نفسه.
- 2 - أن الوحي حالة نفسية (الوحي النفسي) أي: حديث النفس وإلهامها.
- 3 - أنه الانفعال العاطفي (التوبات الانفعالية).
- 4 - أنه عبارة عن التنويم الذاتي.
- 5 - أنه عبارة عن التجربة الذهنية.
- 6 - أنه من إملاءات الكهنة والمنجمين.
- 7 - أن ما جاء به إغا جمعه من البيئة المكية التي كانت تعج بالرهبان والقسيسين.
- 8 - أنه حالة مرضية كالصرع المستيري.
- 9 - أنه كلام عربي نظمه محمد صلى الله عليه وسلم شرعاً.
- 10 - كان محمد ساحراً لِيقاً، والقرآن ما هو إلا سحر من كلامه.
- 11 - أن القرآن أسطoir الأولين.

- 12 ئن الديانة اليهودية والنصرانية كانتا اليابس الذي استقى منه محمد صلى الله عليه وسلم أصل الديانة الإسلامية وفروعها.
- 13 ئن عبقرية محمد، وحدة ذكائه، ونفاد بصيرته، وشدة فطنته هي التي مكتتبة من وضع القرآن على هذه الهيئة.
- 14 -كان محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى حالات الصحة النفسية والجسمية والعقلية، وكان الوحي هو الحادثة الخالدة التي تخلت فيها رحمة الله بعباده.
- 15 لإنكار الوحي رأى مونتيه إرجاع القرآن إلى ثلاثة مصادر: يهودية، ونصرانية، ومصدر جاهلي أفاد منه محمد عن طريق الروايات الشفوية.
- 16 يرى المستشرق ساقاري أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد أبدع في تأليف قرآن، مستخدماً ما في البلاغة والشعر من ثروات فنية.
- 17 للوحي: عبارة عن حدس يتم فيه الإدراك المباشر.
- 18 للوحي: عبارة عن الإشراق الذي يتم فيه تحويل الأفكار بأكمتها من شخص آخر. . .
- 19 ئن نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست وحياً، وإنما هي فكرة بشارية تتتطور في نفس صاحبها.
- 20 ئن الوحي عبارة عن مناجاة روح الخداع والحماسة التي لا تقطن السماء، وإنما تسكن عقل النبي صلى الله عليه وسلم .
- 21 لا يكتفي جوستاف لوبيون بإنكار الوحي، بل يتجاوز ذلك إلى اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مهووس بقوله: (وإذا عدلت هوس محمد ككل مفتونٍ) وجدته حصيفاً سليم الفكر.

22 أئمّة حسّاب دائرة المعارف الإسلامية زعموا أنّ محمداً صلّى الله عليه وسلم اصطنع القصة التي تقول بأنّ الرسول السماوي (جبريل) يتحدث إلى الأنبياء، واعتقد أنه تلقى رسالته ووحيه منه.

23 لاتهام الرسول صلّى الله عليه وسلم بأنه تلقى القرآن من عند غيره، وهذا الغير مختلف فيه:

- أ - تارة يكون الحداد الرومي.
- ب - تارة يكون بحيرا النصراوي.
- ج - تارة يكون ورقة بن نوفل العربي.
- د - تارة يكون اليهودي والنصاري.
- ه - تارة يكون المؤمنين من أهل الكتاب.

24 لإنكار الوحي ذهبوا إلى أنّ الإسلام دين بشري من صنع عبقرية فردية، أو ظروف اجتماعية أو اقتصادية، ولإثبات ذلك اعتمدوا تفسيرات معينة تتمثل في:

- أ - أنه تطوير لعبادةوثنية: منهج تاريخي.
- ب - أنه ظاهرة تفسر في ضوء المتغيرات الاقتصادية.
- ج - أنه وليد فئات بشرية مدينية متحررة. . .
- د - أنه ظاهرة نفسية عبرت عن عظمة طموح فردي.

25 استعمل المستشرقون مناهج متعددة في دراسة مسألة الوحي؛ لأنّه بالنسبة لعلوم الروح كالرياضيات بالنسبة لعلوم الطبيعة.

26 كما تعددت لدى المستشرقين الفروض المفسرة للدين فهو ظاهرة مصدرها اجتماعي أو نفسي.

27 - قالوا: إن كلمة الوحي لا تعني إلقاء النص من الله، بل تعني اقتراحًا أو إشارة أو التكلم الذهني.

28 - أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ليس رسولاً من عند الله، وإنما هو رجل ذكي أتى بنوادر الأعمال الإنسانية، ثم انتحل صفة الرسالة والرسول.

29 - القرآن صياغة عربية جديدة لما ورد في التوراة والإنجيل، وليس وحياً من عند الله تعالى.

30 - شددوا في إنكارهم لأميته؛ لإثبات أنه نقل القرآن عن الديانات السابقة.

تصنيف آراء المستشرقين حول (مفهوم الوحي) :

بعد النظر والتأمل في آراء المستشرقين يتضح اختلاف نظرهم حوله، فالذين يتسبّبون باللاديات لا يرون إمكان الوحي، وبعض من يؤمّن بوجود الله يبحث له عن مصادر استقى منها كلّ نبي معلوماته، ويرجعونها إلى تاريخ الأمم التي اتصل بها كلّ نبي.

والبعض الآخر يثبته للأنبياء السابقين وينفيه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يرى أنه إلهام يفيض من نفس الموحى إليه لا من الخارج، ومنهم من يرى أنه يأتيه من خارج مع اختلافهم في ذلك الأمر الخارجي. وبناء عليه يمكن تصنification آرائهم حول (مفهوم الوحي) إلى أربعة أصناف،

كل صنف يشتمل على مجموعة متماثلة ومتتشابهة من الآراء:

أولاً: إبطال الوحي ونفي الرسالة عن الرسول الخاتم بدعوى تكذيب الرسول، والادعاء بأنه افترى القرآن من عند نفسه.

وقد أنكر الغالبية العظمى من المستشرقين النبوة⁽¹⁾، وشكّوا أن مُنْزَل القرآن هو الله سبحانه وتعالى، بل ادعوا أن هذا الكتاب من وضع محمد صلى الله عليه وسلم بقولهم: (القرآن ليس من عند الله)⁽²⁾ و(محمد هو الذي صنع القرآن)⁽³⁾ و(القرآن من عند محمد: من تأليفه)⁽⁴⁾.

(1) انظر: هدى عبد الكريم مرعي، الأدلة على صدق النبوة الحمدية ورد الشبهات عنها ص 452، عمان، دار الفرقان، ط 1411هـ.

(2) دائرة المعارف الإسلامية 4/244 في بحث التعريف بكلمة (الله) قدمه المستشرق ماكدونالد.

(3) المستشرق هـ. جـ. ويلز، معلم تاريخ الإنسانية 3/626.

(4) غوستاف لوبيون، حضارة العرب ص 111.

ولما قيل لهم: كيف أتى محمد بهذا القرآن من عند نفسه، وأنتم تقرؤون أن
أسلوب القرآن في الذروة من البلاغة، والفصاحة وعلو الأفكار، وقوة التعبير،
فلا يوجد فيه لفظ ركيك، ولا فكرٌ سخيفٌ، بالإضافة إلى تناوله أكثر القضايا
من العلوم والمعارف المختلفة في الماضي والحاضر والمستقبل؟

قالوا: إن محمدًا كان عنده عبقرية خارقة، وحِدَّة في الذكاء، ونفاد في
البصيرة، كل ذلك مكّنه من وضع القرآن على هذه الطريقة.

- ومنهم من قال: كان ساحرًا ليًّا فجاء به، فما هو إلا سحر من
كلامه.

- ومنهم من قال: إنما جمعه من البيئة المكية التي كانت تعج بالرهبان
والقسيسين.

- ومنهم من قال: إنه كلام عربي نَظَمه محمد شعراً.

- ومنهم من يرى أن إبداع محمد في تأليف القرآن يرجع إلى
استخدامه ما في البلاغة والشعر من ثروات فنية.

خلاصة هذه الآراء: أن محمدًا بعقربيته الفذة، وفطرته السليمة، كان
المصدر الوحيد للقرآن، جاء به من عند نفسه، بطريق الإلهام، أو من تأثير البيئة
التي نشأ فيها، وليس وحيًا إلهيًّا من عند الله؛ اعتمادًا على القول بعقربيته وصفاته
نفسه⁽¹⁾.

إن هذه الدعوى التي تبنّاها جمُّ غفير من المستشرقين بتكتلِّي صاحب الرسالة
وإلصاق كل التهم به، بأنه افترى القرآن من عند نفسه، آراء لا تستند إلى حجج ولا

(1) انظر: نذير حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين ص 11.

براهين ساطعة، وقد رد عليها الخصوم قبل الأتباع، وإليك بعضًا من ردود المستشرقين على المستشرقين:

رد المستشرقين على هذه الآراء:

يقول المستشرق إدوارد مونتيه: ((كان محمد نبياً بالمعنى الذي يعرفه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية))⁽¹⁾.

ويقول: ((كان محمد نبياً صادقاً، كما كان أنبياء بني إسرائيل في القدم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه))⁽²⁾.

كما تصدّت المستشرقة الإيطالية لورا⁽³⁾ للأقلام المغرضة ودافعت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بتفنيد الأكاذيب التي كانت تشعّ عنه في القرون الوسطى⁽⁴⁾.

ووقف المستشرق السويسري حنا مواقف نبيلة في دفاعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد دراسته الوثائق التاريخية، ومن جانبه أكد المستشرق جون وانتبورت أن الدراسات التاريخية تسقط كل الأكاذيب التي أشاعها أعداء الإسلام بقوله: ((بقدر ما نرى صفة محمد الحقيقة بعين البصيرة والتروي في المصادر التاريخية الصحيحة. . . وقد جاء بشرع لا يسعنا أن نتهمه فيه))⁽⁵⁾.

(1) المدينة الشرقية ص 47 نقلًا عن الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشرافية ص 117.

(2) الولي الحمدي ص 45.

(3) المستشرقة لورا فكشيا.

(4) انظر: الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشرافية المنصفة ص 388.

(5) وانتبورت، محمد والقرآن، انظر الشيباني، الرسول ... ص 394.

يقول المستشرق كارل⁽¹⁾: «لقد أخطأ من قال إن نبي العرب دجال أو ساحر؛ لأنه لم يفهم مبدأه السامي، إن محمدًا صلى الله عليه وسلم جدير بالتقدير، ومبدأه حري بالاتباع، ليس لنا أن نحكم قبل أن نعلم، وإن محمدًا خير رجل جاء إلى العالم بدين المدى والكمال، كما أنتا لا نرى أن الديانة الإسلامية بعيدة عن الديانة المسيحية»⁽²⁾.

ومن دحض هذه المزاعم: المستشرق الروسي جان ميكائيليس (1717-1791م)، وكذلك المستشرق الفرنسي دينيه، كما اعترف بصدق رسالته وتأكد نزول الوحي إليه كل من: توماس كارليل، ولامارتين ماري لويد، والكونت كاستري، والباحث الأوروبي سنكس، والfilسوف الروسي تولستوي، والبروفيسور ليك، والإنجليزي توماس آرنولد.

هؤلاء وغيرهم من المستشرقين المنصفين كانت لهم اعترافات بُنْزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وصرحوا بصدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بعد دراسة عميقه، بعدل وإنصاف؛ لأنهم وجدوا في شخصه كل ما يدل على صدق نبوته وصحة رسالته⁽³⁾، ثم قاموا بنشرها في بلادهم ضد مفاهيم مجتمعهم، على حساب مصالحهم الخاصة.

(1) كارل هينريش بيكر، مؤسس مجلة العالم الإسلامي كان محبًا للعروبة والإسلام (1876-1937م) من مصنفاته: الشرقيون.

(2) الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشرافية ص394.

(3) انظر: الإسلام والمستشرقون عنوان المقال «نبي الإسلام في مرآة بعض المستشرقين المنصفين» بقلم د. عبد الله الطرازي ص351، جدة عالم المعرفة، ط 1 سنة 1405هـ.

رد العلماء المسلمين على هذا الصنف من الآراء:

خلاصة هذه الآراء مفادها:

أولاً: أن القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم فهو ينسب إليه، ثم اختلفوا في كيفية تأليفه، تارة يقولون نظمه شعراً، وأخرى جمعه من البيئة العربية، ويقولون كان ساحراً وكلامه سحر، ومن قال بعقريته وذكائه استخدم الترويات الفنية في البلاغة واللغة حتى أبدع في تأليفه.

إن هذه الآراء قديمة في ثوب جديد، رددتها المشركون المعاصرون لتنزول الوحي، وقد تكفل كاتب الله بالرد عليها، وقبل بيان ذلك يمكن أن يشار إلى أمور تعدّ من البدهيات في هذا الأمر:

قالوا: القرآن نتاج عربي، والرسول صلى الله عليه وسلم هو مؤلفه. يقال لهم: لو كان محمد هو مؤلف القرآن بما فيه من مبادئ وأفكار لماذا كان ذلك بعد (40) سنة من عمره، أكان يسكت طوال الأربعين السنة الأولى من حياته عن الدعوة ثم ينشط فجأة بعد الأربعين؟! إن هذا لو صح لكان شاذًا غريباً⁽¹⁾، فكيف وهو كلام لا أساس له من الصحة؟!

والشيء نفسه يقال عن القرآن بوصفه أدباً، فلا وشيعة تربط بينه وبين الأدب الجاهلي، اللهم إلا اللغة التي كتب بها، فلا الموضوعات هي الموضوعات، ولا الروح هي الروح، ولا الجو الذي يسود سوره هو الجو الذي يسود ذلك الأدب، بل إن السجع نفسه في النثر العربي مختلف عنه في القرآن، ولماذا نذهب بعيداً فأحاديث الرسول مختلفة عن القرآن، أسلوباً ومذاقاً وروحاناً وألفاظاً

(1) عرض إبراهيم، المستشرقون في القرآن ص 184.

وتراكيب، برغم أن الموضوعات والأفكار والمبادئ التي تدور حولها هذه الأحاديث هي نفس ما جاء في القرآن⁽¹⁾.

ويضاف إلى ذلك: لو كان الوحي من عند محمد ومن ابتكاره لجعله يوافق هواه، ولو كان من إنشائه، فلماذا لم يضمنه أحاديثه؟ ولماذا لم يسرد فيه قصة حياته؟ وكيف يمكن أن يكون القرآن من عنده وهو يخالف رأيه في بعض المواقف، بل يعاتبه ويلومه على أفعاله وبعض تصرفاته؟ كل ذلك وغيره يؤكّد أن الوحي أمر غيّبي أتى من جهة غير إنسانية، خارجٌ عن مجال إرادة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلمه واجتهاده.

إن الناظر في مزاعم المستشرقين، وفي حال الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي كتاب الله الذي أوحى به إلى نبيه يتبيّن له بطلان هذه المزاعم من عدة وجوه:

1- القرآن نفسه ينفي أن يكون من صنع البشر وتأليفهم، وإنما هو كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم لهدایة الناس وإصلاحهم بعدة أمور:
أ- من ناحية أسلوبه البليغ المعجز المغاير لأسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما صدر عنه من أقوال غير القرآن، فالحديث يختلف عن القرآن من جهة أسلوبه، وكل من يفهم العربية يدرك الفرق الشاسع بين الأسلوبين، ولو كان القرآن من عنده لما اختلف الأسلوبان، وبذلك بطل هذا الزعم.

ب- من ناحية ما تضمنه القرآن من إشارات علمية دقيقة، ونبؤات غيبية، وأخبار القرون الماضية، وأمور التشريع، وغير ذلك من العلوم والمعارف التي يزخر بها القرآن، كل ذلك ينفي بشريته، فمن أين لمحمد الحقائق العلمية؟

(1) المرجع السابق ص 184.

ومن أين له أخبار الأولين؟ ومن أين له النبوءات الغيبية؟ فمهما بلغ الإنسان من العبرية لا يستطيع كشف حجب الغيب، فدل على أن القرآن من عند الله الذي أحاط بكل شيء علماً.

ج- ثم إن القرآن لا يعكس شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في أفراحه وأحزانه، فقد توفي عمه وزوجه في عام واحد فحزن عليهما شديداً، ومع ذلك لم توجد في القرآن أي إشارة إلى ذلك.

د- في بعض المواقف كان القرآن يخالف رأي الرسول صلى الله عليه وسلم، بل كان يأتيه عتاب ولوم على أفعاله، فقد عاتبه القرآن على موقفه من عبد الله بن أم مكتوم الرجل الأعمى بقوله تعالى: ﴿عَبْسَ وَتَوَلََّ * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ١، ٢].

وعاتبه في مسألة أسرى بدر بقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يُشَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كُنْتُمْ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَكُمْ فِيمَا أَخْذَمُتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨].

ه - واجه النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً من المواقف الشديدة التي كان يحتاج فيها إلى القرآن لحسمها، مثل ما حل به عندما رماه المنافقون في أهل بيته، فلم يستطع أن يفعل شيئاً مدة شهر حتى جاءه الوحي ببراءتها وقطع السنة الخائضين بالإفك، فلو كان القرآن من عنده لقطع بالبراءة من أول وهلة^(١).

(١) هدى مرعي، الأدلة على صدق النبوة الحمدية ورد الشبهات عنها ص 495 وما بعدها باختصار.

يضاف إلى ذلك هبوط الوحي لأول مرة على الرسول وأثره في شخصيته، وكيفية التوفيق بين انقطاع الوحي ثلاث سنين، وشوق الرسول إليه، وسر بقاء القرآن محفوظاً منذ جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، لم يثبت في تاريخ البشرية أن ظل كتاب كما هو، دون زيادة ولا نقصان، أو تحريف أو تبديل، فإذا قدر محمد عليه السلام على الحفاظ عليه طوال حياته، فما الذي حال دون ضياع جزء منه بعد وفاته، كما حرفت وبذلت كتب أهل الكتاب، وما سبقها من كتب الله المنزلة؟!^(١)

إن القرآن أجاب عن سر بقائه وخلوده، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

إن رد القرآن على الشبهات القديمة التي أثارها العرب في نفي الوحي وإنكار النبوة هو الرد نفسه على آراء المستشرقين، باعتبار أن هذه الآراء ما هي إلا صدى لتلك الشبهات؛ فقد قالوا: القرآن سحر ومحمد ساحر، فحكى الله ذلك عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُ أَيَّهَ يَسْتَسْعِرُونَ * وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مِّنْ بَنِينَ﴾ [الصفات: ١٤ - ١٥]، وبقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُّنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكُفَّارُونَ هَذَا سَحِيرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

(١) الباحث مجلـة فـكرـية سـنة 12 عـدد 3 سـنة 1993 مـقال ((كيف نـزل القرآن)) دـ. مـحمد الـخـالـدـي صـ114.

وقالوا: القرآن شعر و محمد شاعر، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضَغَثُ
 أَهْلَمِ بَلِ افْتَرَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلِيأْتِنَا إِثَابَةً كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾
 [الأنياء: ٥]. قوله: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا إِلَهَنَا لِشَاعِرٍ بَمَجْنُونٍ﴾ [الصفات: ٣٦].
 وقالوا عنه: إنه جنون، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
 الْذِكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]. فرد الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ
 * وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا نَذَرُونَ * نَزِيلٌ مِّنْ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤٣]، قوله ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢].
 وقد أكد الله سبحانه وأمام افتراءات المكذبين أن القرآن وحي من كلام الله
 في كثير من آياته، منها:
 قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ
 كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].
 قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَّبُّ الْعَالَمِينَ * نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى
 قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٤ - ١٩٢].
 قوله تعالى: ﴿الَّهُ * تَنْزِيلُ الْكِتَبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ
 * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ١ - ٣]، وغيرها من
 الآيات.

إن الحقائق التي تسقط دعوى كون القرآن ليس وحيًّا من عند الله لا تقع تحت حصر، ولكنها لا يمكن أن يحصيها الاستقراء، وفيما ذكر من ردود على هذه الفرية غنيًّا عما لم يذكر منها.

ثانياً: إنكار الوحي واتهام الرسول بأنه تلقى القرآن من عند غيره، مع اختلافهم في هذا الغير من يكون؟

فتارة يقولون إنه: 1- الحداد الرومي 2- بحيرا النصري 3- ورقة بن نوفل القرشي 4- تلقاء من اليهود والنصارى 5- أحدهم عمن أسلم من اليهود والنصارى.

إن المستشرقين يرددون ما ردده أسلافهم من المشركين واليهود والنصارى من قبل أثناء نزول الوحي بالقرآن، وذلك في القول: بأن القرآن من صنع محمد صلى الله عليه وسلم وكذبه، وساعدته على ذلك قوم آخرون، وقد حكى كتاب الله ذلك عن الأوائل بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أَفَتَرَنَّهُ وَأَعْنَاهُ، عَلَيْهِ قَوْمٌ أَخَرُونَ فَقَدْ جَاءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [الفرقان: ٤].

فالقوم الآخرون قيل: بلعام، وقيل: يعيش، وقيل: جبر، وقيل: يسار، وقيل: سلمان⁽¹⁾، وقيل: قوم من اليهود، وقيل: عبيد كانوا للعرب من الفرس، أمثال أبي فكيهة مولى الحضرميين، وعداس وغيرهم⁽²⁾.

(1) تفسير ابن عطية 8/510

(2) تفسير ابن عطية 11/5

لقد افترى قوم فقالوا في عهده: إن محمدًا كان يعلم بشر، وتلقف هذه الشبهة المستشرقون بعدهم فرددوها كما رددوا أسلافهم، فمن هو؟ ومن سمعه؟ ومتى وأين كان ذلك؟ وهل هم جادون فيما قالوا؟

الحقيقة أنه ما كان يعنيهم أن يكونوا جادين فيما يقولون بقدر ما كان يعنيهم أن يدرؤوا عن أنفسهم معزة السكوت والإفحام، ولذلك اجتهدوا في البحث عن تعين هذا البشر من يكون؟ فحدّدوا له صفتين:

الأولى: أن يكون من سكان مكة لترويج دعوى ملاقة الرسول صلى الله عليه وسلم والإملاء عليه بكرة وأصيلاً.

والثانية: أن لا يكون من جلدكم ليتمكن أن يقال: إن عنده علم ما لم يعلموا. فالتمسوا هذه الصفات . لا في أهلها الموسومين بها من الريانيين والأحبار، ولا من القسيسين والرهبان . فزعموا أنهم وجدوها في حداد رومي، ولذلك قضم القرآن ظهرهم، فأبان عوار حجتهم، وحوّلها حجة دامغة عليهم، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَاتُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا إِلَسَانٌ عَكَرٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

إذا كان قوم من الذين كانوا أحρض الناس على خصومته، وأدراهم بأسفاره، وأحصاهم لأحواله، عجزوا أن يقدموا أي صلة علمية بينه وبين أهل العلم في عصره، مما بال المستشرقين وأذنابهم من الملحدين يبحثون عن تلك

الصلة بعد مضي أربعة عشر قرناً وربع من الزمان؟ فلو وُجدت لأثبتها سلفهم، وكفواهم عناء البحث، فليرجعوا أنفسهم وليشتغلوا بغير هذه الشبهات⁽¹⁾. إنّ بطلان زعم المشركين العرب بهذه الدعوى يبطل دعوى المستشرقين في هذه القضية؛ لأنّهم يرددون ما ردده أسلافهم.

وقالوا: إن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل، فهاتان الديانتان كانتا اليّنبوغ الذي استقى منه محمد أصل الديانة الإسلامية وفروعها، فأكثر القضايا الشرعية فيه مقتبسة من كتاب التوراة، وجميع القصص كذلك مقتبس من التوراة، فإذا أخرجنا ذلك منه لم يبق فيه إلا ما لا يستحق الذكر.

قالوا: إن الدعوة الحمدية كانت في العهد المكي كتابية إنجيلية توراتية مسيحية يهودية، وإن القرآن نسخة عربية من الكتب السماوية السابقة المنزلة على الأنبياء السابقين، ومقتبس منها، وإنه كتاب توراتي إنجيلي يهودي نصراني في موضوعه ومصادره وقصصه وجده⁽²⁾.

يقول جولد زيهير: ((فتبيشير النبي العربي، ليس إلا مزيجاً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، والتي تأثر بها تأثراً عميقاً ورأها جديرة بأن توقف عاطفة دينية حقيقة عندبني وطنه)).⁽³⁾.

(1) انظر: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم 67-83، تحقيق عبد الحميد الدخاخني، الإسكندرية، دار المرابطين، ط 1 سنة 1417 هـ.

(2) عبد العظيم المصطفى، الإسلام في مواجهة الاستشراق 593، المنشورة، دار الوفاء، محمد دروزة، القرآن والمستشرقون ص 94، المكتب الإسلامي بيروت.

(3) شوقي أبو خليل، أضواء على مواقف المستشرقين والمشرقيين ص 17-18.

وقال كارل بروكلمان: ((اقتبس النبي عن التوراة فكرة الخطية الأصلية.
وإنما ترجع معتقداته فيما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية))⁽¹⁾.

ويقول غوستاف لوبيون: ((وإذا أرجعنا القرآن إلى أصوله أمكننا عدّ
الإسلام صورة مختصرة عن النصرانية . . .))⁽²⁾.

ويقول ريتشارد: ((إن الرسول صلى الله عليه وسلم استمد من الكتاب
المقدس كثيراً مما جاء في القرآن وبخاصة القصص . . .))⁽³⁾.

وكثير من المستشرقين ذهب إلى هذا الرأي أمثال: دانييل، وس. جويتين،
وأديسون، وتايلور، وجورج سيل⁽⁴⁾ أدلة فيما ذهبوا إليه من استمداد الرسول
صلى الله عليه وسلم من كتب أهل الكتاب:

استندوا إلى أمور زعموا أنها أدلة تؤيد آراءهم ومنها:

1 - استشهادهم بعض نصوص القرآن عن طريق الخطأ وسوء الفهم،

فاستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَعِلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤].

فهموا منها خطأ أنَّ مُحَمَّداً أَمْرَأَنِ يَسْأَلُ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ -وهو قد
سَأَلَهُمْ- فرسالته مستوحاة منهم⁽⁵⁾.

(1) المرجع السابق ص 18، نقلًا عن تاريخ الشعوب الإسلامية ص 70.

(2) غوستاف لوبيون، حضارة العرب 158، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، سنة 1979م.

(3) محمد عزت الطهطاوي، التبشير والاستشراق ص 47، القاهرة، المطابع الأميرية، ط 1397هـ.

(4) هدى مرعي، الأدلة على صدق النبوة الحمدية ص 464.

(5) هدى مرعي، الأدلة على صدق النبوة الحمدية ص 463.

واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿يَأْخُذُ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأً سَوْءً وَمَا
كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيَّا﴾ [مريم: ٢٨].

يقول أحد المستشرقين: إن محمدًا كان دارسًا مبتدئًا للكتاب المقدس، فظن أن مريم أم عيسى هي مريم أخت هارون مع أن بين عيسى وهارون زمنا طويلا^(١).

ـ 2ـ ادعاؤهم وجود تشابه بين القرآن والكتب المقدسة في بعض الأمور، يقول المستشرق س. د. جوتين: ((وإن أمعان النظر في النصوص الدينية الموجودة في القرآن ليُؤْكِدُ على التشابه المدهش بينها وبين الأدب اليهودي والمسيحي، ولا يمكن أن يفسر هذا إلا بالاتصالات الشخصية الطويلة والقريبة، وكذلك على مدى الأثر البعيد الذي تركه النشاط التبشيري في الأدب العربي حتى قبل الإسلام))^(٢).

ـ 3ـ كما استدلوا بموقف العرب من الرسول صلى الله عليه وسلم وادعائهم أن رجلاً رومياً كان يعمل حداداً بمكة قد علم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، زعم ذلك كل من رودلف دهلم، والفرد جيوم، وجوتين، وعبارة الأخير: ((من النزاع الذي كان قائماً بين النبي وبين الذين رفضوا الإيمان برسالته إشارة إلى أن المصدر الأصلي لمعلومات محمد هو بعض رجال بنى إسرائيل، كما هو واضح من أقوال أهل مكة))^(٣).

(١) هدى مرعي، الأدلة على صدق النبوة الحمدية ص 463.

(٢) المستشرق جوتين، دراسات في تاريخ الإسلام ونظمها ص 49-50.

(٣) المرجع السابق ص 47.

4- كما استدلوا بنفي أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، لإثبات تلقيه القرآن من عند غيره ليتمكنوا بذلك من إنكار الوحي، فأقاموا شبهتهم هذه على أن النبي صلى الله عليه وسلم تلقى العلم عن علماء أهل الكتاب، وأنه كان دارساً لكتابهم المقدس، حيث تم له الإتيان بالقرآن، ومن أجل هذا يعملون جاهدين على نفي الأمية عنه وإثبات التعلم له.

يقول الفريد حيوم: ((إنه كان تاجراً ولا بد للتاجر أن يقييد حساباته)).⁽¹⁾.

ويقول مونتغمري واط: ((إن الإسلام التقليدي يقول بأن محمداً لم يكن يقرأ ولا يكتب، لكن هذا الزعم مما يرتاب فيه الباحث الغربي الحديث؛ لأنه يقال لتأكيد الاعتقاد بأن إخراجه للقرآن كان معجزاً، وبالعكس لقد كان كثير من المكيين يقرؤون ويكتبون، ولذلك يفترض أن تاجراً ناجحاً لا بد أن يكون قد عرف شيئاً من هذه الفنون)).⁽²⁾.

إن معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين، أو من المتخرجين من كليات اللاهوت، ولذلك يحاولون رد الموضوعات الإسلامية إلى أصل نصري، وقد أثبتت هذه العلاقة الدكتور علي النملة، وأكدها بقوله: ((إن الارتباط الثقافي بين الاستشراق والتنصير لا يزال قائماً، وسيظل كذلك مهما جرت المحاولات لفك هذا الارتباط، إذ لا يزال هناك مستشرقون منصرون⁽³⁾، وسيظل هناك منصرون مستشرقون)).⁽⁴⁾.

(1) عبد الجليل شلبي، الإسلام المستشرقون، ص 22، القاهرة، دار الشعب، ط سنة 1977م.

(2) مجموعة من الباحثين، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية 225/1، الرياض مكتب التربية العربية لدول الخليج طبعة 1405هـ.

(3) ترجم المؤلف لعدد من أولئك المستشرقين بلغ 343 شخصاً.

(4) علي إبراهيم النملة، المستشرقون والتنصير ص 11، الرياض مكتبة التوبة، ط 1 سنة 1418هـ.

كما أن هناك طائفة من المستشرقين اليهود تحكمت فيهم الصهيونية
يجهدون أنفسهم لرد كل ما هو إسلامي إلى أصل يهودي⁽¹⁾.

ولعل أولئك الذين ذهبوا إلى القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد استفاد من المصادر اليهودية والنصرانية، كان أغلبهم يدعى الإيمان بالرسالات، والإيمان بالوحى الإلهي، وأن الله يصطفى رسلاً من خلقه لتبلغ شرائعه، اعترفوا بذلك لأنبيائهم وأنكروا ظلماً وعدواناً لنبي الإسلام الخاتم صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

رد المستشرقين على من زعم أن محمداً كان له معلمٌ من البشر:

إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن من رجع نفسه إلى كتب العلم ودواوينه، وذلك باعتراف المستشرقين أنفسهم⁽³⁾؛ لأنه ولد أمياً ونشأ أمياً وعاش أمياً، فما تلا يوماً من الأيام كتاباً في قرطاس ولا خطه بيمنيه، كما أنه لم يكن له معلمٌ من قومه الأميين، ولا أحسب أن أحداً بحاجة إلى الاستدلال عليه بأكثر من اسم (الأمية) الشاهدة عليهم، بأنهم خرجوا من بطون أمها THEM وهم لا

(1) انظر: علي إبراهيم، المستشرقون والسيرة النبوية ص 27.

(2) انظر: زيد أحمد العلان، الدراسات الاستشرافية في ضوء العقيدة الإسلامية ص 274، رسالة علمية غير منشورة نوقشت في كلية أصول الدين جامعة الإمام عام 1406هـ.

(3) يقول توماس كارليل: ((يظهر لي أن الحقيقة هي أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف الخط والقراءة))، ويؤكد المستشرق الكونت هنري ذلك بقوله: ((ما كان يقرأ ولا يكتب بل كان كما وصف نفسه مراراً - نبياً أمياً - وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه)) الرسول في الدراسات الاستشرافية ص 404.

يعلمون من أمر الدين شيئاً، وأكدها الجاهلية التي كانت أخص الألقاب بعصر العرب قبل الإسلام⁽¹⁾.

كما أنه لم يكن له معلم من غيرهم من اليهود والنصارى من نسب إلى العلم أو وسم به من الربانين والأحبار أو القسيسين والرهبان. ولو حصل شيء من ذلك لذكره التاريخ، ولما تورط خصومه في نسبة ذلك إلى حداد رومي بمكة. وقد اعترف توماس كاريل بنفي تلك الأستاذية من أحد له بقوله: ((ثم علينا أن لا ننسى شيئاً وهو أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يتلق درساً عن أستاذ أبداً، ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محمداً عليه السلام لم يكن يعرف الخط والقراءة، وكل ما تعلمه هو عيشة الصحراء وأحوالها. وعجب والله أمية محمد صلى الله عليه وسلم، نعم إنه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسر له أو يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه))⁽²⁾.

ويشير إلى من علمه بقوله: ((الرجل العظيم الذي علمه الله العلم والحكمة) ويقول أيضاً: ((وما كلّمه إلا صوت صادق صادر من السموات العلي))⁽³⁾.

إن هذه الاعترافات صدرت عن دراسة وعلم وإنصاف لخدمة الحقيقة، وتدل على جرأة الكاتب وشجاعته النادرة التي خالف فيها رجال دينه وبني جلدته الذين حادوا عن الحق وبحروا عن الإنصاف فقالوا ما قالوا من لهم وإجحاف في نبي الإسلام.

(1) انظر: محمد دراز، النبأ العظيم ص 66 وما بعدها.

(2) الإسلام والمستشرقون ص 301، مقال د. محمود الططاوي.

(3) المرجع السابق ص 303.

يقول المستشرق الإنجليزي لايتنر: ((بقدر ما أعرف من دين اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد عليه السلام ليس اقتباساً، بل قد أوحى إليه من ربه، ولا ريب بذلك طالما نؤمن بأنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز علیم. وإنني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كان تضحية المصالح الذاتية، وأمانة المقصد. . من العلامات الظاهرة الدالة على نبوة محمد عليه السلام أنه قد أوحى إليه)).⁽¹⁾.

ويقول هنري كاستري: ((ثبت إذن أن محمداً صلی الله عليه وسلم لم يقرأ كتاباً مقدساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه)).⁽²⁾

رد العلماء المسلمين بطلان القول بتلقيه عن الحداد

الروماني:

أما القول بأنه صلی الله عليه وسلم تلقى القرآن عن الحداد الرومي فقد ملأ العرب المعاصرون لنزول الوحي من ترداده، فكيف مَنْ يأتي بعدهم من المستشرقين أن يقول به دون حجة؟ ولقد كان رد القرآن في ذلك واضحاً جلياً.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ مُّؤْتَدِّلٌ لِسَاتُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّيَمِّنٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

بطلان القول بتلقيه عن بحيرا:

(1) محمود ماضي، الوحي القرآني من المنظور الاستشرافي ونقده ص 149.

(2) المرجع السابق ص 149.

وأما قولهم: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم اتصل بـ(بجيرا) فأملى عليه معلومات، ثم لما رجع إلى مكة تبناها وزعم أنها من عند الله.

يقال لهم: إن لقاءه ذلك كان محدوداً وبحضور زعماء قريش، وكان عمر النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر عاماً، فطبيعة اللقاء تنفي أن يكون قد حصل تعلم محمد عليه السلام من بجيرا؛ لأنه لقاء قصير عابر لا يكفي للدرس والتحصيل، وسن النبي إذ ذاك صغيرة لا تؤهله للتلقى، ولا توجد رواية تذكر ذلك التعليم، ثم إن اللقاء حضره عدد من رجال القافلة، فلم يذكروا شيئاً من ذلك، وقد كانوا أحقر الناس على إحباطها بعد إعلانها.

وتؤكد الروايات أن بجيرا رأى علامات النبوة على ذلك الفتى، وأخبر عمه أبا طالب بأنه سيكون له شأن عظيم، وأوصاه بالمحافظة عليه⁽¹⁾، فمن أين للمستشرقين القول بالأخذ عنه من التاريخ؟

وهل يعقل أن بجيرا كلام هذا الطفل بهذا الدين المتكامل الذي تعجز البشرية جماعة أن تأتي بمثله؟ ولماذا اختياره من بين جهابذة الرجال أمثال أبي طالب وغيره؟ ثم لماذا لم يقم هو بنفسه بالتعليم والإصلاح والتوجيه؟ ولم تأخّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في نشر ذلك الخير بعد تلقيه وسماعه من بجيرا أكثر من ثمان وعشرين سنة؟⁽²⁾.

(1) رواه الترمذى: (590/5)، بالرقم (3620) وقال: ((هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه...)) ولم يذكر اسم الراهب، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: ((رجالة ثقات)), رواه ابن سعد في الطبقات (121/1) وغيره بذكر اسمه.

(2) انظر: هدى مرعي، الأدلة على صدق النبوة الحمدية 470-471.

إِنَّمَا يَعْلَمُونَ الْحَقِيقَةَ وَلَكُنُّهُمْ يَكَابِرُونَ، فَهَذَا الدِّينُ لَوْ اجْتَمَعَ أَعْظَمُ مَنْ قَنَاعَ
 الْعَالَمَ لِعَجَزَوْا أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لَّيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىَ
 أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِ
 طَهِيرًا ﴾ [الإِسْرَاءٌ: ٨٨].

إن كل هذه الروايات تؤكد أن دلائل نبوة محمد عليه السلام وعلاماتها
 كانت ظاهرة منذ صغره، حتى لاحظها الرهبان وغيرهم.

وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ فَإِنَّمَا لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَأْتِيَنَّ اللَّهَ
 يَبْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٢].

بطلان دعوى التعلم عن ورقة:

إذا كان نفر من المستشرقين أمثال درمنغام وموتنغمرى وغيرهما يدعى
 ذلك، فإنه لم يثبت تاريخياً أن ورقة كان يدعو إلى النصرانية، وأن جميع الروايات
 الصحيحة أكدت عدم اتصال الرسول صلى الله عليه وسلم بورقة إلا بعد بجيء
 الوحي إليه، وعدم وجود أي صلة سابقة بين محمد عليه السلام وورقة، حتى إنَّ
 فكرة الاتصال به لم تطرأ على باله سعياً لإزالة الإشكال عن نفسه، بل كانت
 الفكرة من اقتراح خديجة، فلو كانت هناك صلة سابقة كما زعم (واط) من غير
 دليل؛ لتبادرت إلى ذهن الرسول لسؤاله عما حدث له^(١).

ثم إن موقف ورقة من ذلك اللقاء كان موقف المستفسر لما حصل مع
 الرسول في غار حراء، فلما سمع ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم آمن به

(1) انظر: حسن عتر، وحي الله، ص 91.

وشهد على صدقه، ووعده أنه سينصره نصراً مؤزراً، بعد أن أخبره أن قومه سيؤذونه ويخرجونه، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي⁽¹⁾. فمن أين لحمد عليه السلام بعده تلك العلوم المتتابعة أكثر من عشرين سنة⁽²⁾؟ فهذه دعوى مرفوضة من ناحية المنهج العلمي في إثبات الحقائق، ومن ناحية العقل في إدراك الواقع.

بطلان دعوى الأخذ عن أهل الكتاب:

لم يكن بين يدي محمد عليه السلام توراة ولا إنجليل باللغة العربية ليأخذ عنهما؛ لأن الكتاب المقدس باللغة العربية لم يظهر إلا في القرن التاسع والعشر، كما وضحه (لوبلو)، وأكده الدكتور (حraf). ثم إن الشخص الوحيد الذي كان يعرف بعض المعلومات الكتابية الوثيقة في (مكة) كان ورقة ابن نوفل، وقد يتبادر إلى الأذهان أنه هو الذي علمَ محمدا القرآن، ولكن ورقة توفي قبل أن يُكلّف محمد صلى الله عليه وسلم بتبلیغ الدعوة كما تقدم. كما أن القرآن لم يظهر دفعة واحدة، إنما اكتمل بعد ثلاث وعشرين سنة معاجاً لأحداث حياتية، وحالات إنسانية، مجيباً عن تساؤلات، ومعلقاً على مواقف نبوية أو صحابية أو كتابية أو شركية لم تحصل إلا بعد وفاة ورقة بسنين، وقد سبق إبطال دعوى الأخذ عن ورقة.

(1) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص 3 بالرقم 3).

(2) انظر: حسن عتر، وحي الله، ص 93-94.

ولو علم أهل مكة وجود اتصال مابين النبي صلى الله عليه وسلم وورقة، لكشفوه على الملا، واتهموه في صدقه، ولكن ذلك لم يحدث، مما يدل على عدم وجود أية رابطة علمية بينهما⁽¹⁾.

يضاف إلى هذا أن اليهود كانوا يقطنون المناطق الخصبة . يشرب ، وخير ، واليمن . فاتصاله بهم كان نادراً أو منعدماً، ثم ما عسى أن يفيده اليهود الذين اشتهروا بكتم العلم ليُعْرُوْبُوا به الناس ، ولاعتقادهم أنهم شعب الله المختار ، ومع هذا فكانوا يتربّون خروج الرسول الخاتم من بينهم ، حتى كانوا يستفتوّون على

العرب بذلك ، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَقْتَحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكُفَّارِينَ ﴾ [البقرة: 89].

وقد كان اليهود يتحلّون الرسول بعدة أسئلة ويطّلبون منه الإجابة عنها - لأنّه لا يعلمها إلاّ بي - ولو كانوا يعلمون أنهم قاموا بتعليمه لما تحدّوه بذلك⁽²⁾.

بل كشف النبي صلى الله عليه وسلم خياناتهم وترويرهم وتحريفهم لكتابهم، ووصفهم بنقض العهود والمواثيق، وكتم العلم، مفنداً أغلالتهم بما جاء به في هذا الكتاب، وإليك نموذجاً من ذلك⁽³⁾:

(1) انظر: محمد رشدي عبيد، النبوة في ضوء العلم والعقل ص332-333.

(2) زيد العبان، الدراسات الاستشارافية في ضوء العقيدة ص284-185.

(3) محمد دراز، النبأ العظيم ص72.

قال تعالى: ﴿ يَأَهْلُ الْكِتَبِ لَمْ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَأَلِّا نَحْيِلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِكَثَةٍ ﴾ [آل عمران: ٩٦].
كان ذلك جواباً عن قوله قبلينا قبل قبلكم^(١).

وقال تعالى: ﴿ كُلُّ الْطَّعَامِ كَانَ حِلًا لِّبْنَيْ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [آل عمران: ٩٣].
كان ذلك ردًّا على دعواهم أن الإبل كانت محظوظة على يعقوب^(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [آف: ٣٨]. وهذا تكذيب لقولهم:
إن الله بعد أن خلق الخلق في ستة أيام استراح في اليوم السابع^(٣).
فلم يكن علماء أهل الكتاب يبذلون العلم لطالبيه، بل كان حرصهم
عليه أشد من حرصهم على حياتهم، حتى ضنوا به على أبنائهم استيفاء
لرياستهم أو طمعاً في منصب النبوة الذي كانوا يستشرفون له.

وقد ذمهم الله بقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْنُبُونَ الْكِتَبَ يَأْيُدُهُمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرُؤِيهِ ثُمَّ نَأْقِلُهُ ﴾ [البقرة: ٧٩].
فهل بعد هذا يصح أن يقال: إن هناك يداً علميةً كانت من أهل
الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟!

(١) المرجع السابق 72.

(٢) المرجع السابق 72. وفيه ((ابراهيم)) والصواب ما أثبتناه.

(٣) المرجع السابق 72.

أما الذين لقوه بعد النبوة فقد سمع منهم وسمعوا منه، لكنهم كانوا له سائلين عنه آخذين، وكان هو لهم معلماً وواعظاً ومبشراً⁽¹⁾.

وأما الذين آمنوا به من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره فلا يعقل أن يعلمونا وهم الذين أسلموا على يديه، وسلموا بنبوته، إذ كيف يسلم أولئك الأخبار دون أن يروا صدقه ويتحققوا من نبوته وهم علماء بالكتاب؟!⁽²⁾.

ثالثاً: وصف الوحي بالظواهر النفسية وتوابعها:

يعني هذا الصنف من تفسير الوحي بـ(الوحى النفسي) مع الاضطراب في تحديده ويعنون به: أن القرآن فيض من خاطر محمد صلى الله عليه وسلم أو انطباع لإلهامه، أي أنه ناتج عن تأملاته الشخصية، وخواطره الفكرية وسبحاته الروحية⁽³⁾.

كيف صوروا الوحي النفسي؟ ومن أين استنبطوا ذلك التصور؟ قالوا إنهم استنبطوه من تاريخ محمد وحالته النفسية والعقلية، وحالة قومه ووطنه، وما تصوروا أنه استفاده من أسفاره وخلواته وتحنته وتفكيره، من كل ذلك نبع الوحي النفسي.

وببيان ذلك: أنهم يقولون إن عقل محمد الهيولاني⁽⁴⁾ قد أدرك بنوره الذاتي بطلاط ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام، وأن فطرته الزكية قد احتقرت ما كانوا يتنافسون فيه من جمع الأموال بالربا والقمار، وأن فقره وفقر عمه قد حال

(1) محمد دراز، النبأ العظيم ص 69.

(2) محمد رشدي عبيد، النبوة في ضوء العلم والعقل ص 334.

(3) محمود ماضي، الوحي القرآني ص 123.

(4) يعرف هذا في عصرنا بالعقل الباطن.

دون انغماسه فيما كانوا يسرفون فيه من الاستمتاع بالشهوات⁽¹⁾، فطال تفكيره في إنقاذهم من ذلك الشرك القبيح، وتطهيرهم من تلك الفواحش والمنكرات، فعكف على التأمل العميق فيما حوله من هذا الكون المحيط، منقطعاً إلى عبادة الله في غار حراء، حتى سما وجданه واتسع محيط تفكيره، فاهتدى عقله الكبير إلى الآيات البينات في ملوكوت السموات والأرض على وحدانية مبدع الوجود. . بما صار به أهلاً لهدایة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وما زال يفكر ويتأمل وينفعل، حتى أیقن أنه هو النبي المنتظر الذي يبعثه الله لهدایة البشر، ففجلى له هذا الاعتقاد في الرؤى المنامية، ثم قوي حتى صار يتمثل له الملك يلقنه الوحي في اليقظة⁽²⁾.

وقد اضطربوا في تحديد حالة النبي صلى الله عليه وسلم النفسية التي صدر عنها القرآن، فاختلقو في ذلك إلى أقوال متباعدة⁽³⁾ يمكن إجمالها في الآتي:

- 1- الإلهام السمعي.
- 2- الانفعالات العاطفية.
- 3- التنويم الذاتي.
- 4- التجربة الذهنية.
- 5- حالة الكهنة والمنجمين.
- 6- حالة الصدوع والهستيريا.
- 7- حالة شعر أو جنون أو أضغاث أحلام.

(1) محمد رشيد رضا، الوحي الحمدي، ص149.

(2) محمد رشيد رضا، الوحي الحمدي ص149-150 باختصار. ومحمد ماضي، الوحي القرآني ص124.

(3) عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره 1/381.

أقوال المستشرقين في تبني هذا الرأي وعرضه:

من ذهب إلى القول بالوحي النفسي من المستشرقين: درمنغام جب، وجولد زيهر، وجوستاف لوبون، ومونتغمري واط، وغيرهم⁽¹⁾.

يقول واط: ((ولا يلزم من صدق الإنسان أن يكون مصيبةً فيما يقول، بل يمكن أن يكون صادقاً ومع ذلك خطئاً، إذن محمد صلى الله عليه وسلم خطئ في ظنه أن القرآن وحي يأتيه من الخارج بوساطة ملك، وإذن فالقرآن صدر من جهة من جهات نفسه، وتلك الجهة اللاشعور الجماعي)).⁽²⁾

يقول جوستاف لوبون: ((ويجب عدُّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات...)).⁽³⁾ كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

ويقول جولد زيهر: ((ففي العصر المكي جاءت الموعظ التي قدم بها محمد الصورة التي أوجبتها إليه حميته الملتهبة في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي...)).⁽⁴⁾

والمستشرق درمنغام ذهب يصور الحالة النفسية للنبي صلى الله عليه وسلم أثناء تخته في غار حراء، والانطباعات النفسية التي تركتها مشاهداته وتأملاته، إلى أن قال: ((فلما كانت سنة 610م كانت الحالة النفسية التي يعانيها محمد صلى

(1) انظر: هدى مرعي، الأدلة على صدق النبوة الحمدية ص485، ومحمد رشيد رضا، الوحي الحمدى، ص137، محمود عوض، الوحي القرآني، ص123، ودراز، النبأ العظيم ص84.

(2) هدى مرعي، الأدلة على صدق النبوة الحمدية ص485، ومحمد في مكة، واط ص205.

(3) المرجع السابق ص492، انظر مناهج المستشرقين ص29.

(4) انظر: العقيدة والشريعة جولد زيهر، معرب ص19، 21، ط1 مصر، دار الكتب الحديثة.

الله عليه وسلم على أشدّها. . . ووْجَد في وحْدَةِ غَارِ حَرَاءَ مُسْرَةً تَزَادَ كُلَّ يَوْمٍ عَمْقًا. . .⁽¹⁾.

يريد درمنغام أن يقرر أن القرآن فيض وجدان محمد صلى الله عليه وسلم وصورة من انطباع نفسه مما كان يدور حوله وأمام عينيه، والوحى في رأي هذا المستشرق ليس إلا وحىً من داخل نفس الرسول لا من مصدر خارجي، أي من العقل الباطن، لا من رب العالمين⁽²⁾.

فأنزل النبوة منزلة الملوسة وحديث النفس؛ مردداً كلام الفيلسوف (أرسطو) الذي لا يؤمن بآله ولا نبوة، وكان يعتقد أن الجسد سجن النفس، وأن أي إنسان إذا أجاع الجسد أو أمرضه، انطلقت نفسه، وعنها تتصل بالعالم العلوي فتسمع أصواتاً وترى أشباحاً. . . هذه هي نظرية النبوة عند الإغريق، والمستشرق تبني هذه الأفكار وأسقطها⁽³⁾ على محمد صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾. وفي تفسير الوحى بتأثير الانفعالات العاطفية كما يزعم ذلك نولدكه حيث يقول: ((كانت نبوة محمد نابعة من الحالات المنهجية والإلهامات المباشرة للحس، أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل الناضج)), ففسر (واط)

(1) انظر: محمود ماضى، الوحى القرانى 123-124، محمد رشيد رضا، الوحى الحمدى ص: 109 (ط المكتب الإسلامى).

(2) انظر: محمود ماضى، الوحى القرانى ص 124.

(3) الإسقاط: هي حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه، ورغباته المستكرهة التي لا يتعرف بها إلى غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدار. . . وذلك تنزيهاً لنفسه، وتحفناً ما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب (أحمد عزت راجح، أصول علم النفس ص 478) فكل الأكاذيب والشبهات والتشويه والدس والافتراءات التي وجهها المستشرقون إلى الدين الإسلامي خبثاً وحقداً ومكرًا هي من قبيل الإسقاط المدروس والواعى (شوقى أبو خليل، أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين ص 11).

(4) محمود ماضى، الوحى القرانى 124-125.

ظاهرة الوحي تارة بسبب تأثير النوبات الانفعالية الطاغية التي كانت تسسيطر عليه، كما فسرّها بظاهرة التنوم الذاتي، والتي وصفها بالسبات الطبيعي الذي يعتري المرأة⁽¹⁾.

كما يزعم (بل) و (واط) بأن الوحي عبارة عن تجربة ذهنية فكرية أدرك منها النبي صلى الله عليه وسلم ما أدرك نتيجة قدرته على التركيز على مستوى تجريدية لا يطيقه غيره، فكان يختار ساعات الليل لصفائها⁽²⁾.

إن المستشرقين كلما وضعوا أيديهم على رأي لم يطبقوا أن يثبتوا عليه طويلاً؛ لأنّه لم يتحقق لهم ما يريدون، فهم غير مطمئنين إلى رأي صالح يرضونه من بين آرائهم. لذلك يدلّون بكل الفروض والتقارير التي يرون أنها تشير غالباً أو تزرع أشكالاً في طريق السائر إلى المهدى.

بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما فسروا ظاهرة الوحي بأنّها حالة صرع كانت تصيب محمداً، فيغيب عن الناس وعما حوله، ويظل ملقى بين الجبال لمدة طويلة يسمع له غطيط كغطيط النائم، حتى قال نولدكه: ((إن سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع))⁽³⁾.

ويقول جوستاف فيل في كتابه عن محمد النبي: ((إن ما كان ينتاب الرسول مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحياً، وإنما هو نوبات صرع واضطرابات عصبية))⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق ص 389-390.

(2) المرجع السابق ص 391 باختصار.

(3) حاضر العالم الإسلامي 34/1 وانظر أصوات على مواقف المستشرقين ص 6.

(4) ريتشارد بل وموتنغمرى واط، مدخل إلى القرآن ص 17 وما بعدها، جامعة أدنبره 1977م.

ويقول المستشرق أليوس سيرجور عن حياة محمد وتعاليمه: ((إن محمدًا كان مصاباً بالصرع والهستيريا معاً))⁽¹⁾.

دفع المستشرقين لآراء (الوحي النفسي ولوازمه):

إن الوقوف على حالة النبي صلى الله عليه وسلم قبلبعثة وما كان يتمتع به من صدق وأمانة ليؤكد بطلان مزاعم المستشرقين في أنه جاء بالقرآن من وحي نفسه، وهذا ما أكدته بعض المستشرقين أنفسهم، يقول المستشرق لوازون: ((إن محمدًا بلا التباس ولا نكран كان من النبيين والصديقين، وهو رسول الله القادر على كل شيء...))⁽²⁾.

ويقول المستشرق إدوارد مونتيه صاحب الفكر المستقل متحدياً ببني جنسه، نافياً عن الرسول صلى الله عليه وسلم الوحي النفسي، والانفعالات، والتقويم، وحالات الصرع، ومثبتاً الوحي الصحيح والرؤيا السليمة والإلهام الصادق: ((كان محمد نبياً صادقاً كما كان الأنبياء بني إسرائيل في القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه....)).⁽³⁾

وفي نفي تهمة الانفعال العاطفي، والنوبات، والتقويم الذاتي وحالة الصرع والهستيريا عنه، يقول المستشرق الفرنسي ماسينيون: ((إن محمدًا كان على تمام الاعتدال في مزاجه)).⁽⁴⁾ ويقول ماكس: ((لقد أراد بعضهم أن يرى في محمد

(1) أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق ص38، لندن المنتدى الإسلامي ط1 سنة 1411هـ.

(2) الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشرافية المنصفة ص 400 – 401.

(3) محمد رشيد رضا، الوحي الحمدي ص94.

(4) عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره 1/403.

رجلاً مصاباً بمرض عصبي، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا، كما أن ما جاء به فيما بعد من أمور التشريع والإدارة ينافق هذا القول⁽¹⁾.

ويقول بلاتونوف: ((وغایة مانقدر أن نحزم به هو تبرئة محمد من الكذب والمرض)⁽²⁾.

فهذه أقوال وردود بعض من وصف بعض الإنفاق - ولو في هذه القضية-من بنى أولئك القوم، قالوا بها بعد أن ضاقوا ذرعاً بالأكاذيب والاتهامات التي وجهت إلى الحقائق الإسلامية الناصعة؛ لتزييفها وإسقاط منزلتها بين الناس.

رد العلماء المسلمين هذا الصنف من الآراء:

لما عجزت عقول المستشرقين ومحترفهم العلمية أن توصلهم إلى كنه ظاهرة الوحي⁽³⁾ وحقائقه، أصبحوا يرددون . باسم البحث العلمي . لما يعرف بالوحي النفسي، زاعمين أنهم جاؤوا برأي علمي جديد، وما هو بجديد بل هو الرأي الجاهلي القديم لا يختلف عنه، صوروا فيه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ذو خيال واسع وإحساس عميق فهو إذاً شاعر، ثم قالوا: إنّ وجданه يطغى كثيراً على حواسه حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه، وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخيلته فهو إذاً الجنون أو أضغاث أحلام⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق ص 403/1

(2) المرجع السابق ص 403/1

(3) عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره 1/381

(4) محمد دراز، النبأ العظيم ص 84

إن دعوى المستشرقين هذه في الوحي النفسي تشكل دعوى المشركين في اتهامهم الرسول بالجحون؛ لأن المشركين زعموا أن بعض الجن يتراءى له فيوهمه أنه رسول⁽¹⁾، والمستشرقون لم يبعدوا النجعة عن قولهم، والظاهر أنهم قد ولدوا رأيهم من رأيهم ولم يختلفوا عنهم بشيء، فهؤلاء عبروا حسب مفاهيمهم بـ(الوحى النفسي والرؤى والخيالات)، وأولئك عبروا وفق مفاهيمهم أيضاً بـ(الجن والشياطين) وكانوا يسمون التابع من الجن (رئياً)، وقد ألزمهم الله الحجة⁽²⁾ بقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَزَّلْتَ بِهِ الْشَّيْطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢].

إن الأدلة النقلية والعقلية أكدت انتفاء أن يكون الوحي من داخل نفس محمد صلى الله عليه وسلم؛ فأعراض الوحي الظاهرة عليه، والتي لا دخل له بها تؤكد أن الوحي خارج عن ذاته، ولو كان الأمر كذلك لكان طوع بنائه، يأتي بشيء جديد من الوحي في أي وقت يشاء بهذه الطريقة، والكل يعلم أنه كان يمر بظروف معينة أحوج ما يكون فيها إلى شيء من الوحي⁽³⁾ فلا يأتيه⁽⁴⁾.

(1) جاء في سيرة ابن هشام (313/1 - 315) على لسان عتبة بن ربيعة سيد قريش ومحاورها للإصلاح بينهم وبين الرسول، وما عرضه عتبة: وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه ولا تستطيع رده عن نفسك طلبنا له الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئ منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه!

(2) حسن عتر، وحي الله 155.

(3) هدى مرعي، الأدلة على صدق النبوة ص 507.

(4) مثل تأثير الوحي في حادثة الإفك عندما رمى المنافقون زوجته بالفحش وهو بأمس الحاجة إليه، فماذا كان يمنعه من إنزال براءة من التهمة لو كان القرآن من عنده؟ .

فمن الأدلة النقلية: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ هَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ ﴾

يُوحَى ﴿ [النَّحْمَ: ٣ - ٤] .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ

بَعْدِهِ ﴿ [السَّاءَ: ١٦٣] .

وقد وصف نفسه صلى الله عليه وسلم كيفية إتيان الوحي إليه عندما سأله الحارث بن هشام قال: ((أحياناً يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشد على، فيفصّم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعطي ما يقول...)).^(١)

وكما بaint حالة الوحي: (الوحي النفسي)، باint كذلك (حالة النائم)، في كل أوضاعها وأوقاتها وأشكالها؛ لأنّه كانت تعترى قائماً أو قاعداً أو سائراً أو راكباً ليلاً أو نهاراً، فالنبوة لا تخضع مثل هذه الدراسات لأنّها ليست كسبية، وليس نتائجها فيضان نفسي، والإنسان مهما ركز بكامل قواه العقلية لا يمكن أن يصبح نبياً ولا يصل إلى مرتبة النبوة؛ لأنّها لا تتحقق نتيجة إجهاد ذهن، أو طول تفكير، في

ساعات الليل لصفائها^(٢)، فهي اصطفاء واجتباء من الله تعالى، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِبْرَاهِيمَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

﴿ [الحج: ٧٥] فلم تكن أمراً توقعه محمد صلى الله عليه وسلم ولا رجاه، ولو كان كذلك لما خاف على نفسه لما رأى الملك أول مرة فعاد إلى زوجه؛ ليجد منها

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص 1.

(٢) عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن 1/391.

الطمرين والتهدئة، بل صرخ القرآن بأنه لم يرج هذا ولم يؤمله، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّتْ تَرْجُوا أَن يُلْقَى إِلَيْكُمْ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [القصص: ٨٦].

وأما ما قالوه عنه من نوبات أو افعالات أو غيرها: فيرده النظر في سيرته، فقد عاش طوال حياته في صحة نفسية، وعصبية، وعقلية جيدة، لم يطرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه، بل كان كمال عقله مضرب الأمثال.

يقول عبد الكريم الخطيب: ((أجئون مصروع يبني دولة، وينشئ نظاماً، ويقيم ديناً، ويعيش في أجيال الناس، منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل)).^(١)

ذلك لأن صاحب الصرع الذي زعموه تصييئه نوبات فلا تذر عنده أي ذكر لما مر به أثناءها، بل ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياً تماماً، ولا يذكر شيئاً مما صنع أو حلّ به خلالها، مما يؤكد أن الوحي رباني المنشأ، ملائكي النقل، بشري التبليغ. فالوحي أمر غيبي آت من جهة غير إنسانية، خارج عن مجال إرادة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلمه واجتهاده، بل كان مبلغاً إياه بكل أمانة وصدق عن رب العالمين.

رابعاً: تفسيرات الوحي بالتفسيرات المادية

لم يفلح أصحاب الفكر المادي في استيعاب النبوة وفهمها حق الفهم؛ لأن الفهم يتطلب تحرداً من الميول المختلفة والقناعات السابقة، مع تطبيق منهجه يستعد الباحث لقبول نتائجه أيًّا كانت، والماديون تصوروا أن الأنبياء (انبعثوا) ولم (يبعثوا) بتأثير وضغط الحاجة الفكرية والنفسية والاقتصادية التي عانوها أفراد

(١) هدى مرعي، الأدلة على صدق النبوة ص 508.

مجتمعاتهم، وقد كان أولئك الأنبياء مرهفي الإحساس، شديدي الذكاء، قادرين على استغلال تلك الحاجة في النفوس بتحريك أصحابها وقادتهم. ويرون أن دعوة الأنبياء جاءت نتيجة عاطفتهم الإنسانية أو ميلهم نحو الإصلاح.

يقول توماس كارليل أثناء مدحه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم : ((القرآن لو تبصرون ما هو إلا جمرات ذاكيات قدفت بها نفس رجل كبير السن بعد أن أودتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات، وكانت الخواطر تترافق عليه بأشد من لمح البصر وتتزاحم في صدره)) إلى أن يقول : ((وقد تخيل روح محمد الحادة النارية، وهي تتململ طول الليل الساهر يطفو بها الوجد ويرسب، وتدور بها دوامات الفكر، حتى إذا أسفرت لها بارقة رأي حسبته نوراً هبط عليها من السماء وكل عزم مقدس يهم به يحاله جبريل ووحيه))⁽¹⁾. كما يفسرون النبوة بالاستجابات الخلاقية في النفوس الإنسانية.

ولا شك أن هناك فروقاً واضحة بين الأنبياء والمصلحين: فالنبي: إنسان حر منبني آدم أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبلیغه، فهم جاؤوا بأفكار جديدة تختلف ما كان عليه ثقافة أقوامهم، وأتوا بقيم أخلاقية واجتماعية غير متأثرة بما كانت عليه أئمهم، مما يدل على ريانية ما جاؤوا به من علم أو كتاب.

ولقد ظهر لكل منصف أن ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعائر العبادية والقيم الأخلاقية، وقواعد السلوك لم يكن نابعاً من بيئته، بل كان غريباً عن ثقافتهم مبایناً لأعرافهم، كما قوله جعفر بن أبي طالب، أمّام ملك الحبشة، مظهراً المفارقة بين مظاهر الواقع، ومعطيات الوحي، قال: ((كنا

(1) كارليل، الأبطال ص 85-86.

قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار.. . حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه. . . فدعانا إلى الله لنوحده ونبده...⁽¹⁾.

فوصف لنا الحالة التي كانوا يعيشونها، ثم بيّن صفات النبي الموحى إليه، ثم بين ما أمرهم به مما يخالف ما كانوا عليه، وما نهاه عنده من الأوزار، ثم عدد أمور الإسلام الأخرى.

فدل هذا على أن الوحي يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من قبيل الله؛ لإعادة الناس إلى فطحهم الأصلية التي انصرفوا عنها بفعل عوامل كثيرة اقترفوها مع عامل الزمن.

كما يرى الماديون أنّ الوحي عبارة عن حدس، وتارة هو عبارة عن إشراق، ويرون مناقضته للوعي.

لا شك أن الوحي مختلف عن هذه الأمور التي وصفوه بها، فقد زعم برجسون أن الحدس هو الوسيلة الوحيدة لإدراك الحقيقة، وادعوا أنه أرقى أنواع المعرفة، وهذا الزعم تكذبه الآيات القرآنية التي ذكرت أن النبي صلى الله عليه وسلم يوحى إليه، وكثير من الأحاديث بينت اتصال الرسول صلى الله عليه وسلم بالوحي كما قال عن نفسه: ((وإِنَّمَا الَّذِي أُوْتِيَهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)).⁽²⁾.

وإذا كان الإشراق يتم فيه تحويل الأفكار بين إنسان وآخر، بمعنى أن الدراسات أكدت أن الإشراق يتم بين شخصين، في حين أن الوحي يقع بين ملك وإنسان اختاره الله لتبلغ رسالته، فالوحي مختلف عن الإشراق، كما

(1) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، باب بيان أن فرض الزكاة كان قبل المحرجة 14-4/2260 بالرقم.

(2) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل ص 1084 بالرقم 4981.

يختلف عن الحدس وهو لا ينافي الوعي كما ادعاه الماديون، الذين استخدموا خيالهم في إنكار الوحي، ونفي النبوة عن الأنبياء عموماً وعن النبي الخاتم خصوصاً، لكن بعد شنشنة طويلة أظهر الله الحق من بين فلتات لسانهم حتى لا يشتبه الحق بباطل الناس وشكوكهم.

وبعد استعراض هذه الآراء ومناقشتها يتبين اتفاق غالب المستشرقين على هدف واحد، هو الوصول إلى ما يؤيد اعتقادهم بأن الإسلام دين بشري من صنع عقيرية فردية أو ظروف اجتماعية أو اقتصادية، كل ذلك لرفض حدوث الوحي وبث الشبهات حوله.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

بعد هذا التطاويف بين كتب المستشرقين واستقراء آرائهم حول (مفهوم الوحي) تبين الوصول إلى النتائج الآتية:

1) إن موضوع الوحي من أوسع الموضوعات التي تناولها المفكرون المسلمين بالبحث والدراسة وأدتها كما تناولها فريق كبير من المستشرقين في أبحاثهم.

2) الوحي أمر غيبي آتٍ من جهة غير إنسانية، خارج عن مجال إرادة الرسول وعلمه واجتهاده.

3) هناك تلازم بين الوحي والنبوة، فإثبات أحدهما هو إثبات للأخر؛ لأن الوحي من أخص خصائص النبوة.

4) ظهر الإخلال العلمي في معظم كتابات المستشرقين حول مفهوم الوحي، وتمثل ذلك في تشويه الحقائق وتزييفها، وغياب الأمانة العلمية، بيترا النصوص تارة، وبوضعها في غير مواضعها تارة أخرى، مع تحميلها ما لا تتحمل.

5) إن جمهرة المستشرقين لا ينكرن ظاهرة الوحي في الواقع الإنساني، إنما يبتونها لأنبياء التوراة والإنجيل وينكرونها تجاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تعصباً، فيفرقون بين متساوين.

6) إن معظم من وصف الرسول بالقيادة والعبرية والإصلاح والذكاء، سعى إلى ذلك لقصره على البشرية، ونفي نزول الوحي عليه.

- 7) ينبغي الحذر والحيطة من الأقوال التي اشتهرت بالإنصاف والاعتدال؛ لأن أهلها يكتبون عن دين لا يدينون به، أمّا التي عُرِفت بالتعصب والانحراف فلم يصبح لها وزن ولا قيمة، حتى لدى المنصفين منهم.
- 8) اضطراب آراء المستشرقين حول الوحي يدل على عدم اطمئنانهم إلى رأي مناسب يرضونه من بينها، يفزعون إلى رأي فيرون أنه أبعد عن مقصدتهم فيفزعون إلى غيره فيرون أنه ليس أمثل من سابقه، وهكذا لا يستقرؤن على حال.
- 9) تضمنت الدراسة عرض أكثر من ثلاثين رأياً حول (مفهوم الوحي) تم تصنيفها إلى أربعة أصناف، تحت كل صنف مجموعة من الآراء:
- 1 إبطال الوحي ونفي الرسالة عن الرسول الخاتم بدعوى تكذيبه والادعاء بأنه افترى القرآن من عند نفسه.
 - 2 إنكار الوحي واتهام الرسول بأنه تلقى القرآن من عند غيره.
 - 3 وصف الوحي بأنه ظواهر نفسية انفعالية عاطفية مرضية هستيرية.
 - 4 اللجوء إلى مناهج متعددة في دراسة ظواهره، أو تفسيره بالتفسيرات المادية، وباستعراض هذه الآراء يتبيّن اتفاقهم على هدف واحد، وهو: الوصول إلى ما يؤيد اعتقادهم بأن الإسلام دين بشري من صنع عقبرية فردية أو ظروف اجتماعية واقتصادية، كل ذلك لرفض حدوث الوحي وبث الشبهات حوله.

المصادر والمراجع

1. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم دراسة ونقد، عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة، الرياض، 1413هـ.
2. الأدلة على صدق النبوة الحمدية ورد الشبهات عنها، هدى عبد الكريم مرعي، عمان، دار الفرقان، ط 1411هـ.
3. الاستشراق: أهدافه ووسائله، محمد فتح الله الزبيادي، دار قتبة، ط 1426هـ.
4. الإسلام في مواجهة الاستشراق، عبد العظيم المصطفى، المنصورة، دار الوفاء.
5. الإسلام والمستشرقون، عبد الجليل شلبي، القاهرة، دار الشعب، ط سنة 1977م.
6. الإسلام والمستشرقون، نخبة من العلماء المسلمين، عالم المعرفة، جدة، ط 1، سنة 1405هـ.
7. أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط 7 1968م.
8. أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، شوقي أبو خليل، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، الجماهيرية الليبية، ط 1، 1984م.
9. افتاءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1413هـ.

10. افتاءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها، يحيى مراد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ.
11. افتاءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها، محمد علي، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ.
12. الباحث، مجلة فكرية سنة 1993م عدد 3 مقال ((كيف نزل القرآن؟)) محمود الخالدي.
13. تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1968م.
14. التبشير والاستشراق، محمد عزت الطهطاوي، القاهرة، المطابع الأميرية، 1397هـ.
15. حضارة العرب، غوستاف لوبيون، دار حياة التراث العربي، بيروت، ط3، سنة 1979م.
16. دائرة المعارف الإسلامية، في بحث التعريف بكلمة (الله) قدمه المستشرق ماكدونالد، ترجمة محمد الفندي، مصورة عن طبعة عام 1933م.
17. الدراسات الاستشرافية في ضوء العقيدة الإسلامية، زيد أحمد العبلان، رسالة علمية غير منشورة، نوقشت في كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود عام 1406هـ.
18. رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب، لندن، المنتدى الإسلامي، ط1 سنة 1411هـ.
19. الرسول في الدراسات الاستشرافية، محمد شريف الشيباني، دار الحضارة، بيروت.

20. الرسول في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
21. سيرة ابن هشام، تحقيق محمد عبد الحميد، مصر، المكتبة التجارية الكبرى.
22. صحيح ابن خزيمة، للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، طبعة 1400هـ.
23. صحيح الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، الرياض، دار السلام، ط 1، 1417هـ.
24. صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، الرياض، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
25. العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد زيهير، ترجمة محمد يوسف وآخرين مصر، دار الكتب، ط 2.
26. العقيدة والشريعة، جولد زيهير، مصر، دار الكتب الحديثة، ط 1.
27. علوم القرآن، عدنان زرزور، المكتب الإسلامي، دمشق، 1980م.
28. القاموس المحيط، الفيروزابادي، بيروت، دار الجليل، د. ت.
29. القرآن والمستشرقون، محمد دروزة، المكتب الإسلامي، بيروت.
30. لسان العرب، محمد بن منظور الإفريقي، طبعة 1، بولاق، 1302هـ.
31. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1413هـ.

32. محمد في مكة، مونتغمري واط، تعریب شعبان بركات، بيروت، المكتبة المصرية 1952م.
33. مدخل إلى القرآن، ريتشارد بل، ومونتغمري واط، جامعة أدنبره، 1977م.
34. المستشرقون بين الإنصاف والعصبية، محمد علوى المالكى، جدة، مطابع سحر، ط 1402هـ.
35. المستشرقون والإسلام، نخبة من العلماء، عالم المعرفة، جدة، ط 1، سنة 1405هـ.
36. المستشرقون والنصرى، علي إبراهيم النملة، الرياض، مكتبة التوبة، ط 1، سنة 1418هـ.
37. المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين الصغير، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط 1، 1403هـ.
38. المستشرقون والقرآن الكريم، محمد أمين حسن محمد بنى عامر، أربد، الأردن، دار الأمل للنشر، ط 2003م.
39. المستشرق نيكولسون ومفترياته على الإسلام، الجيلي محمد الكباشى، رسالة علمية غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
40. مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين استقراء المصادر، علي إبراهيم النملة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، سلسلة 12، 1414هـ.
41. معالم تاريخ الإنسانية، المستشرق هـ.جـ. ويلز، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ط 3، 1967م.

42. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط 2، 1401هـ.
43. مفردات ألفاظ القرآن، العالمة الراغب الأصفهاني، دار القلم والدار الشامية، دمشق وبيروت، ط 1، 1412هـ.
44. مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، مجموعة من الباحثين، الرياض، مكتب التربية العربية لدول الخليج طبعة 1405هـ.
45. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، طبعة دار الفكر، د.ت.
46. النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، تحقيق عبد الحميد الدخاخني، الإسكندرية، دار المرابطين، ط 1، سنة 1417هـ.
47. النبوة في ضوء العلم والعقل، محمد رشدي عبيد، العراق، مكتبة توز، ط 1، سنة 1986م.
48. نبوة محمد في الفكر الاستشرافي المعاصر، لحضر شايب، الرياض، م العبيكان، ط 1، 1422هـ.
49. نور اليقين، الخضرى، القاهرة، المطبعة الأزهرية، طبعة 1966م.
50. الوحي القرآني في المنظور الاستشرافي ونقده، محمود ماضي، الإسكندرية، دار الدعوة، ط 1، سنة 1416هـ.
51. وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، نقض مزاعم المستشرقين، حسن ضياء الدين عتر، دعوة الحق، مكة المكرمة، عدد 28، 1404هـ.

52. الوحي الحمدي أنواع الوحي وآراء المستشرقين، عبد الجليل شلي،
بحث مطبوع ضمن بحوث المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة،
تحت رعاية الأزهر، ص (186-205).
53. الوحي الحمدي، محمد رشيد رضا، مؤسسة عز الدين، بيروت،
ط 2، 1352هـ.

فهرس الم الموضوعات

1	المقدمة
2	أهمية الدراسة:.....
3	الدراسات السابقة:.....
5	حدود الدراسة:.....
6	الفصل الأول.....
6	مفهوم الوحي، أنواعه، تاريخه، موقف المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم منه
6	مفهوم الوحي:.....
8	الوحي في الشرع:.....
8	مفهوم الوحي عند اليهود والنصارى:.....
9	أنواع الوحي:.....
11	تاريخ الوحي:.....
13	الوحي في نظر المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم:.....
17	الفصل الثاني
17	مفهوم الاستشراق، انتماءات أهله، موازينهم، الوحي في نظرهم.....
17	المعنى اللغوي:.....
17	المعنى الاصطلاحي:.....
18	انتماءات المستشرقين:.....
23	موازين البحث عند المستشرقين:.....
25	الوحي في نظر المستشرقين:.....
26	أهدافهم من إنكار الوحي:.....

الفصل الثالث	28
آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي	28
مجمل آرائهم حول الوحي :	28
تصنيف آراء المستشرقين حول (مفهوم الوحي):.....	32
رد المستشرقين على هذه الآراء:.....	34
رد العلماء المسلمين على هذا الصنف من الآراء:.....	36
رد المستشرقين على من زعم أن محمداً كان له معلمٌ من البشر:.....	47
رد العلماء المسلمين:	49
بطلان القول بتلقيه عن الحداد الرومي:	49
بطلان القول بتلقيه عن بحيرا:	49
بطلان دعوى التعلم عن ورقة:	51
بطلان دعوى الأخذ عن أهل الكتاب:	52
ثالثاً: وصف الوحي بالظواهر النفسية وتوابعها:.....	55
أقوال المستشرقين في تبني هذا الرأي وعرضه:.....	57
دفع المستشرقين لآراء (الوحي النفسي ولوازمه):.....	60
رد العلماء المسلمين هذا الصنف من الآراء:.....	61
رابعاً: تفسيرات الوحي بالتفسيرات المادية	64
الخاتمة	68
المصادر والمراجع	70
فهرس الموضوعات	76